آدم بلا حـواء

آدم بلا حواء

رواية

محمد نجيب مطر

قدرية سعيد

اسم الكاتب: محمد نجيب مطر - قدرية سعيد
اسم الكتاب: آدم بلا حواء
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
الرسوم الداخلية ولوحة الغلاف للفنان: سعيد بدوي
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
رقم الإيداع: 2019 / 13066

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

من الحكمة أن نفترض الأسوأ من البداية
ليأتي الأفضل كمفاجأة لنا

جول فيرن

تقديم

لا شك أن كاتب أدب الخيال العلمي لابد أن يحترم عقلية القارىء، فمن غير المعقول أن يلج المؤلف في الخرافات والأحداث الغرائبية غير المنطقية، والجري خلف الخطوط الدرامية البعيدة عن المصداقية العلمية، لمجرد أن هذا النوع من الأدب ينتمي إلى علوم المستقبل، الذي ما زلنا نجهل عنها الكثير، وهنا يقع على عاتق الكاتب بذل الكثير من الجهد والمتابعة لكل جديد من الاكتشافات العلمية الحديثة، بل ومتابعة كل ما يلهث حوله المكتشفون للبحث والتنقيب في أعماق الحضارات القديمة، بمختلف أنواعها، لعلهم يزيحون الستار عن البعد العلمي، الذي ما زال مجهولاً، ويحمل الكثير في جعبته ولم يزح عنه الستار حتي الآن:

- في عدد جريدة الأهرام: الجمعة ١٤ /١٢ /٢٠١٨ بعنوان "مفاجأة ... الفراعنة عرفوا الكهرباء قبل آلاف السنين".

أثارت النقوش والرسوم الهيروغليفية على جدران المعابد وداخل ممرات الأهرامات المظلمة حيرة العلماء على مر السنين، لكن هل يمكن أن تكون هذه النقوش دليلاً على معرفة المصريين القدماء بتكنولوجيا الكهرباء؟

سؤال طرحته صحيفة "إكسبريس" البريطانية في تقرير لها، وأوضحت أنه يمكن القول أن النقوش التي تم اكتشافها على جدران معبد حتحور بمعبد دندرة، تشير أن الفراعنة عرفوا الإضاءة باستخدام المصابيح الكهربائية وتقنية ضوء القوس، ونقلت الصحيفة أن بعض الرسوم الفرعونية الساحرة على جدران المعبد تشير إلى استخدام المصريين القدماء الكهرباء عن طريق المصابيح الضوئية.

- في عدد جريدة الأهرام: الثلاثاء ١ /١ / ٢٠١٩ بعنوان: "مشروع إيزيس"يكشف حقيقة بناء المخلوقات الفضائية للأهرامات".

في مفاجأة مذهلة، كشف فيلم وثائقي عن أن عملاء مخابرات الحقبة السوفيتية "كيه جي بي" عثروا على كائن فضائي عمره ١٢ ألف عام محنط على شكل مومياء في المقبرة الفرعونية.

ونقلت صحيفة (ديلي إكسبريس) البريطانية عن الفيلم الذي يحمل عنوان "ملفات كيه جي بي السرية" أنه كشف عن شكل حياة غريبة، تعود لكائن فضائي، خلال مهمة بحث قام بها أعضاء المخابرات السوفيتية، ويظهر الفيلم الوثائقي مقابلة مع د. إيفانوفيتش المستشار العلمي السابق للكرملين والذي يقول أنه تمكن من الوصول إلى ملفات بعثة كي جي بي المسماة "مشروع إيزيس"

وكان المشروع يهدف إلى اكتشاف القطع الأثرية المصرية، ومعلومات قد يكون لها استخدامات عسكرية، وكان هذا المشروع واحداً من عدة بعثات بحثية سرية، قام بها جهاز المخابرات السوفيتية خلال تلك الفترة، ويسجل د.إيفانوفيتش المهمة والاكتشاف المذهل في كتابه "مشروع إيزيس اكتشاف كيه جي بي لمقبرة الزائر" ويظهر الفيلم الوثائقي مقطعاً حصرياً يعتقد أنه لم يشاهده أحد، خارج المقابر السرية للمخابرات السوفيتية.

وذكرت الصحيفة أنه تم الحصول على الفيديو من مصدر مجهول ويدعي أنه حصل عليه من خلال المافيا الروسية من أرشيف الكي جي بي، وأكد د. إيفانوفيتش أن اللقطات تظهر أهم اكتشاف في تاريخ البشرية، وأن العلماء الروس بالتعاون مع خبراء عسكريين في النشاط الإشعاعي والحرب الكيماوية، اكتشفوا المقبرة في مصر عام ١٩٦١م، وأوضح أن "ما وجدوه داخل المقبرة في التابوت، هو بقايا مخلوق فضائي مات في مصر"، وذكر أنه "تم استخدام عملية إيزيس لتأمين الوثائق والتكنولوجيا عن الكائنات الفضائية، والتي تم تخزينها في مقبرة سرية في هضبة الجيزة على أمل استخدامها لأغراض عسكرية".

وأشار إلى أنه في الوثائق، لم يتم الكشف عما تم العثور عليه بالضبط داخل التابوت، وأكد أن العناصر ذات الرتب العليا في الكي جي بي هي فقط التي اطلعت على بقايا المخلوق الفضائي، الذي مات في مصر قبل ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد.

- في كثير من المواقع العلمية؛ في عالم النانو تكنولوجي طاقية الاخفاء لم تعد خيالا علمياً بل واقعا تم تنفيذه.

فقد تمكن علماء في جامعى تكساس الأمريكية من تطوير رداء يمكنه إخفاء أي شيء تحته، فقد يمكن لشاب أن يرتدي قميصاً، فيختفي به؛ وذلك من خلال استخدام شرائح من الأنابيب الكربونية فائقة الصغر (أنابيب نانو كربونية)، يتم طي مسار الضوء حول الجسم المراد إخفاؤه (الحيود)، فيبدو وكأن الضوء قد مر من خلاله دون أي وجود له، ومثال على ذلك نراه في الصحراء حين ينقل لنا السراب أشياء، وكأنها موجودة بالفعل على مسافات بعيدة بسبب انكسار الضوء، أي أن كل ما تحتاجه هو ارتداء ثياب مصنوعة من هذه المادة، لتختفي تماماً عن الأنظار، التجربة ما زالت محصورة في المعمل، ولا تصلح إلا في ظروف خاصة.

(١)

في ليلة واعدة، تألق فيها القمر، ونشط فيها النسيم، هبت على زينب روائح البشر والسعادة، بلقاء حبيبها العائد من المجهول، الذي طال انتظاره على أحر من الجمر، توقفت الساعة منذ رحيله وها هي تعود للدوران من جديد.

وقفت أمام المرآة كي تكمل زينتها، مرت شهور وشهور، ثلاثة أعوام كاملة، تنتظر عودته سالماً مرة أخرى، بردائها الأبيض ذو الورود الصفراء، تكحل عينيها وتضع بعض المساحيق الرقيقة كعادتها، و أحمر الشفاة الذي يبرز اكتناز شفتيها، كما يحبه زوجها، ياه ... هذا الثوب المحبب إلى زوجها سمير، ابتسمت لنفسها تصاحبها الذكريات الجميلة.

سمير: هذا الثوب يجعلك أجمل من ممثلات سينما، لا إنه جميل لأنك ترتدينه.

زينب ضاحكة: ما هذا الشِعر؟ لقد مضت عليه أعوام طويلة، لكنني كلما ارتديته، أشعر أنك تحبه، أهو جميل إلى هذا الحد؟

تحدث زينب نفسها أمام المرآة: سمير لقد اضطررت إلى فقد بضعة كيلو جرامات من وزني حتي أستقبلك بالرداء الذي أحببته كثيراً، حتى بعد أن أنجبنا محمود، لقد عرف محمود حقيقة غيابك، عاتبني كثيراً، لكنه هدأ واستسلم للأمر الواقع، بعد أن تيقن بأن شفائك ميئوس منه، لن أشغل بالي بكل شيء الآن، لقد اقترب الموعد.

بلغت الخامسة والخمسين من عمرها، لكنها مازالت تحتفظ بمسحة الجمال التي تتمتع به منذ صغرها، بعينيها الواسعتين، وجهها المريح، وقوامها الممشوق، والذي استعادته في الشهور الماضية.

أسرعت زينب وتوجهت إلى العنوان الذي أُبلغت به عبر الهاتف: مدام زينب.. زوجك الأستاذ سمير فليفل بخير وبصحة جيدة، نحن في انتظارك بفندق الزهور في السابعة مساء الغد في مكتب مدير الفندق.

وصلت إلى الفندق في الموعد المحدد تتسارع دقات قلبها، سألت عن مكتب المدير، رحب بها عامل الأمن، وأشار لها بالتوجه إلى الدور الثاني على اليمين.

أسرعت الخطى، دخلت المكتب، جلس المدير في المواجهة وجلس زوجها سمير في مقعد أمام المكتب، كان اللقاء مثيراً؛ أحضان وقبلات وتأوهات ودموع ساخنة.

- وحشتني، حمد الله على سلامتك.
- وحشتيني يا زينب، اطمئني أنا بخير، الحمد لله.

تنبهت زينب إلى وجود المدير، قامت بمصافحته قائلة.

- أشكر حضرتك، كنت أود مقابلة الطبيب الذي تحدث معنا منذ ثلاثة أعوام.

قاطعها سمير: لقد كان معي حتي مساء أمس، لكنه اضطر للسفر اليوم، ودعاني لقضاء الليلة هنا في فندق الزهور.

المدير مبتسماً: ونحن نهدي لكما ليلة إضافية، كل شيء مرتب.

زينب ممتنةً: أشكرك جداً، ولكنني أعددت طعام العشاء في البيت، إنه جاهز على المائدة.

سمير: أشكرك وأنا أيضاً أرغب في العودة إلى المنزل.

صافحا المدير، وخرجا من الفندق متوجهين على الفور إلى منزلهما، كانت الأحضان أكثر دفئاً، والتأوهات أعلى صوتاً، والقبلات أكثر حراراة.

أعدت زينب كل المأكولات الشهية التي يحبها سمير، نظرت إليه في حب، تنتظر تعليقه على قوامها الرشيق أو الفستان الذي يعشقها وهي ترتديه، لكنه لم يعلق على شيء، فقط ينظر ويبتسم، كل ذلك لا يهم، إنه الآن موجود بعد غياب دام ثلاثة أعوام.

- تحدث معي محمود، أخبرني بوصوله، بعد أسبوع سوف يتسلم عمله هنا في جامعة القاهرة، أستاذ في كلية الزراعة، أخيراً سيستقر في مصر.
- محمود وحشني جداً، لم أستطع الاتصال به في الفترة الماضية.

اتصلت زينب على الفور: محمود وحشتنا ... والدك معك الآن ...

- حمد الله على السلامة، وحشتني سوف أصل مصر الجمعة القادمة، على فكرة بشكل نهائي.
- وحشتني جداً، سننتظرك في المطار، ارسل رقم الرحلة وميعاد الوصول ضروري.
- أكيد، وحشتوني جدا، إلى اللقاء.

أتى الليل وذهبا الزوجان للنوم، أخذته بين أحضانها، لم يستغرق سمير وقتاً طويلاً حتى راح في سبات عميق، أما زينب فقد اتسعت عيناها، نظرت إلى النائم بخوف وقلق مع تزايد ضربات قلبها، لا تعرف ماذا حدث له، ولم تشأ أن تناقش أي شيء في أول ليلة مع زوجها وحبيبها سمير.

(٢)

عاشت أسرة زينب بمدينة السويس في منزل مجاور لأسرة سمير، ذلك الشاب فارع الطول، ممشوق القوام، حاد الذكاء، صاحب العينين العسليتين، اللتين تشع بالفطنة والذكاء، حديثه به نبرة ثقة لا حدود لها، تلمح فيه رجولة كاملة، سرعان ما تم التعارف والحب بين سمير وابنة الجيران، استشهد والده وشقيقه الوحيد في حرب الاستنزاف، ولم يبق سوى الأم التي عكفت على تربية ابنها الوحيد، حتي أكمل تعليمه وتخرج من الكلية الحربية وكان ترتيبه من أوائل دفعته، عمل معيداً بالكلية ثم تخرج من كلية القيادة والأركان، استمرت العلاقات الطيبة بين الأسرتين مدة طويلة.

سافر سمير إلى بعثة تدريب عسكرية بالقرب من أوكرانيا في الاتحاد السوفيتي، لم تنقطع الاتصالات ورسائل الحب بين سمير وزينب، التي أكملت تعليمها في القاهرة بعد انتقال والدها للعمل هناك، عاد سمير ورفاقه بصورة إجبارية بعد حادث (تشرنوبل) الشهير وانفجار المفاعل النووي، بعد عودته تقدم لخطبة زينب، لكن والدها كان لديه ما يقوله.

- زينب.. لا نعرف ماذا حدث لسمير في أوكرانيا، أعرف أنهم جيران

أعزاء لنا، لكن .. لماذا السرعة؟ فلننتظر، ثم هناك أقارب يطلبون الارتباط بك، لكنك دائماً....

زينب مقاطعة: والدي.. بصراحة أنا أحب سمير، منذ سنين، لن أخفي عنك أننا في تواصل دائم بالخطابات، لقد أكد لي أنه بخير وأنا أثق به، و... وأحبه كما قلت لك، أرجوك أن تقبل، سوف تسعدني وتسعد أمه، لقد فقدت زوجها وابنها في الحرب، هذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها بالفرحة والسعادة بعد مرور تلك السنوات العجاف.

وتزوجنا يا سمير، عشنا حياة جميلة، لم يبق لي من أسرتي أحد، توفيت والدتك بعد زواجنا بخمسة أعوام، بعد أن أنجبنا ابننا الوحيد محمود.

أعرف أننا تشاجرنا كثيراً؛ لكنه كان عتاب المحبين المعتاد القابل للتراجع والتسامح بعد قليل، وفي نفس اليوم.

مرةً اعترضت بشدة عندما رأيت خادمة في بيتنا، لم تكن تشجع ذلك على الإطلاق، ولكن ماذا فعلت؟ لقد سقط منها الصندوق الصغير الذي تحتفظ به فوق مكتبك، وحدث شرخ بسيط في أحد جوانبه الخشبية.

غضبت وصرخت: لا أريد خدماً في البيت،أنا أيضاً صرخت: لا أستطيع أن أقوم بتنظيف البيت وحدي، إن الخادمة تأتي يوماً واحداً في الاسبوع.

- لكنها عبثت بمكتبي.

استمر الشجار على شيء لم أفهم قيمته، إلا بعد أن هدأنا، فتحت الصندوق لتخرج منه الذكريات الجميلة بيننا؛ الصور والخطابات التي أرسلتها لك في الغربة، احتفظت بها ولم تشأ أن يراها أحد.

- خشيت ألا يتم الزواج بيننا بعد اعتراض والدك، لكنني لا أستطيع أن أمحو تلك الذكريات الرائعة، خشيت أن تقع أو تتناثر هنا وهناك ويراها الآخرون.

هدأ الموضوع وأغلق الصندوق بإحكام.

كانت سعادتنا كبيرة رغم الفراق بعد سفر محمود للحصول على الدكتوراة في الهندسة الوراثية، كان موضوعها دراسة إنتاج جيل من المحاصيل المقاومة للأمراض، كانت فرحتنا كبيرة طوال فترة دراسته بكلية الزراعة قسم المحاصيل لتفوقه المستمر، لم يعكر صفو هذه السعادة سوى بدايات المرض التي بدأت تظهر عليك.

- أبي لست وحدك الذي ترك الحياة العسكرية، يمكن أن تفكر في أي عمل آخر، لقد قدمت الكثير في فترة الخدمة، بدليل شهادات التقدير التي حصلت عليها، على فكرة اليوم سوف أناقش رسالة الماجستير كما تعلم، أود أن أعرفك على منار، زميلتي نصفها أجنبي ونصفها مصري.
- أشعر بالارهاق الشديد، لكن سوف أحضر مع والدتك.

حان موعد سفر محمود بعد الماجستير بشهور قليلة.

- لا تقلق على والدك سوف يتعافى، لن نهمل في علاجه، ركز فقط في دراستك.

(٣)

تدهورت حالتك الصحية بعد سفر محمود، ترددنا على عيادات الأطباء بين القاهرة والأسكندرية، شخصوا الحالة أنها كسل مزمن، وورم خبيث من نوع نادر يغوص في منطقة الغدة الدرقية يتسبب في ارتفاع مفاجيء في درجة حراراتك التي لا تنخفض إلا بعد عناءٍ كبير، وتناول جرعات من المضادات الحيوية.

ثم أتي اليوم الموعود، في أحد المستشفيات الخاصة قسم الأورام المزمنة، جلسنا في مكتب الطبيب أشرف حمدي كما تشير اليافطة الخشبية الموضوعة على مكتبه، مضت أكثر من نصف ساعة، أتي بعدها طبيب آخر يرسم على وجهه ابتسامة قد تبدو مريحة لكني أحسست أن وراءها شيء ما ...

- اعتذر الدكتور أشرف لظروف قاهرة، لقد حضرت لأنقل لكما تقريره الطبي.

صمتنا ونحن ننتظر تقييم الفحص والحكم النهائي بعد علاجات طويلة، ومصاريف مضنية.

- اسمي الدكتور وهبة شاكر، أعمل مع الدكتور أشرف، قرأت كل

التقارير الطبية الخاصة بالأستاذ سمير، الحقيقة.. أرجو أن تنتبهوا من فضلكم، وبعد الدراسة العميقة التي قام بها الدكتور أشرف ونخبة من أساتذة الأورام، وبعد عام تقريباً على محاولات العلاج التي قمتم بها

- أرجوك ادخل في الموضوع، الحالة ميئوس منها أليس كذلك؟

كنت استمع مع دقات قلبي المتسارعة، أخشي مواجهة الحقيقة، ولكن يا ترى ماذا وراء تلك المقدمة!

الدكتور وهبة: هناك أمل كبير في علاج الحالة يا أستاذ سمير.

ساعدت تلك المقدمة المتفائلة على انفراج أسارير وجهينا، استكمل في توتر.

- استمع جيدا، حالتك الآن والآن فقط خطيرة إلى حد كبير، ربما لن تزيد حياتك عن ثلاثة شهور على أقصى تقدير، هذا موجود بالتقرير الطبي، أستاذ سمير أنت تبحث عن أمل الشفاء وهذا حق مشروع، لذلك قد نستطيع أن نحقق لك هذا الأمل.

زينب: مؤكد أن التكلفة باهظة جداً ولكن سوف نتدبرها بأية طريقة.

سمير: السفر إلى الخارج أليس كذلك؟

- لن يكلفكم الأمر جنيهاً واحداً، ولكنه فقط سيكلفك وقتاً، نعم الوقت هو الحل، ثلاثة أعوام، ستة وثلاثون شهراً من العلاج المتصل، دون أن

تتواصل بأحد حتى زوجتك، طريقة ناجحة ومضمونة في العلاج، لكن شروطها قد تكون قاسية بعض الشيء، دعني أشرح لكما حالاً، عفواً .. نسيت أن أطلب لكما مشروباً، ماذا تطلبان ؟

أجبنا معاً: لا شيء! شكرا .

- لدينا الآن في المصطلحات الطبية ما يسمى (الفقاعة الطبية)، غرفة شفافة شديدة التعقيم، يمكث فيها المريض يتابعه أطباء على درجة عالية من الكفاءة، يتواجدون بها معظم االوقت، ويتعرضون في كل مرة يخرجون من هذه الغرف إلى عمليات تعقيم معقدة، قد لا أستطيع شرحها هنا، يتناول المريض علاجه، ويعيش حياته بين العلاج والتسلية أحياناً من خلال تزويد الغرفة ببعض البرامج والأفلام المسلية، الفقاعة لا تحتمل الأنفاس الغريبة التي من الممكن أن تكون محملة بفيروسات كامنة قد تفسد سير العلاج في مراحله المختلفة، نحتاج إلى ثلاثة أعوام على الأقل... أستاذ سمير.. حديثي معكم الآن جاء بالاتفاق مع الدكتور أشرف؛ لأنه مع مصارحة المريض بالحالة، دون إعطائه آمالا مزيفة، لقد أسرفتم في العلاج، أرجو أن تأخذوا قراراً حاسماً في أسرع وقت، ربما أسبوع من الآن، أكثر من ذلك سوف نعتذر عن استضافتكم بمصحتنا التي نعالج فيها تلك الحالات.

قمت مسرعة يا سمير، بل قفزت من مكاني في خوف، أنت أيضاً نهضت سريعاً من مكانك، ولكن الطبيب استوقفنا قائلاً: هذا رقم هاتفي، من فضلكم أبلغوني بالموافقة أو الرفض، أسبوع على الأكثر، قبل التدهور السريع لحالتك.

خرجنا غاضبين نتأرجح بين الخوف والأمل.

- سمير، انس هذا الكلام الغامض، ثلاثة أعوام لا أراك! سرية ! مستحيل، مستحيل.
- زينب، ننتظر أولاً رد محمود، مؤكد أنه عرض التقارير على المراكز الطبية في الخارج، اتصلي به حالاً، لا تذكري له شيئاً مما سمعناه، فقد يقطع دراسته ويعود، لا أريد أي تعطيل في دراسته، لابد أن نطمئنه على حالتي، ماذا يفيد أن يعرف بأنني .... بعد ثلاثة شهور ...

أرسل محمود رسالته إلى والدته على (الواتساب) يبلغها أن رأي الأطباء يشير أن حالة والده ميئوس منها، أمي سوف أعود خلال أسبوعين.

عندما علم سمير بتصميم محمود على العودة، أصر أن يتحدث إليه على مسمع من زوجته.

- محمود.. أنا بخير، لا تعد إلى مصر قبل أن تكمل دراستك، لقد أتى طبيب من الولايات المتحدة الأمريكية، يعمل في أحدث معهد في ولاية (هيوستن) لعلاج الأورام، وقد طمأنني بأن لديه حالات نجح في علاجها، لا تأتِ.. هناك أمل كبير.

(٤)

أقنعنا ابننا محمود بعدم الحضور، بعد أيام شعرت يا سمير بألم شديد يجتاح كل عضلات جسمك إلى الدرجة التي ارتفع صوت آهاتك التي تحاول كتمها لتتحول إلى صراخ، مع زيادة في درجة حرارتك.

اتصلت بالدكتور وهبة فأمرا بنقلك فوراً إلى المستشفى، وصلت سيارة الاسعاف، وأنت في حالة يرثى لها، تجمع الجيران يدعون لك بالسلامة، انطلقت السيارة بأقصى سرعة، وهي تقرع سارينة الإنذار الكئيبة، في الطريق بادرتني بقرارك النهائي الذي اتخذته.

- لا تقاطعيني، لابد من الاعتراف بأني سوف أموت، لماذا لا نحاول؟ لن نخسر شيئاً، باعتراف الجميع حتي الأطباء في الخارج أنني حالة ميئوس منها، لابد أن نقوم بالإعداد لهذا الأمر، من حسن الحظ أن الأقارب المتبقين لنا يعيشون في السويس، أما الجيران المقربين فأبلغيهم بسفري إلى أمريكا للعلاج، هذا سبب مقنع جدا لاختفائي.
- هناك مشكلة، منار صديقة محمود، إنها تزورنا كثيراً، وهي على صلة دائمة مع محمود، لن نستطيع اخفاء الأمر عنها.

- أخبريها بسفري إلى السويس لأن لدينا قطعة أرض أحاول بيعها هناك، وأسافر مرات عديدة لإنهاء الأمر، وأن هناك مشاكل عليها ربما تستغرق بعض الوقت.
- هل قررت وحدك؟
- قررت وسوف تساعديني، نتحمل ثلاثة أعوام لا أكثر، والآن لابد من إبلاغ الدكتور وهبة بقراري النهائي قبل فوات الأوان، اعتنِ بنفسك، لن أتردد في الاتصال عندما تسنح الفرصة، ولو أنني أعرف أن ذلك صعب.
- هل يمكنني الاتصال بالدكتور وهبة؟
- هذه هي الشروط، أرجوك لا تفسدي الأمر، من حسن الحظ أن محمود مازال في بداية دراسته هناك .

(٥)

تأملت زينب وجه سمير الذي ينام بهدوء بجوارها، لا تعرف لماذا تذكرت منار صديقة محمود، لم تتصل منذ غياب سمير، ولماذا انتظر ذلك منها؟ هذا لا يعني شيء الآن، لكن من أنت؟ حقا هل أنت سمير؟

بعد مرور أسابيع على اختفاء سمير في رحلة العلاج الغامضة، لم تستطع زينب إخفاء الأمر على ابنها محمود الذي كثف اتصالاته لمعرفة الحقيقة، فقد تصور أن الأب لقى حتفه، وأن أمه تخفي عليه الحقيقة، لم تتحمل زينب الضغوط التي تحاصرها، لقد ملت الكذب، لم تدرب نفسها على التمثيل.

حاول محمود أن يسأل منار عبر الهاتف، كان يعلم أنها دائمة الاتصال بوالديه، وزيارتهم على أوقات متقاربة، ولكنها انقطعت عنهم فجأة منذ فترة.

أخيرا اضطرت زينب أن تعترف لمحمود بما حدث، كان الأمر مفاجأة مدوية بالنسبة له، لقد وصل إلى مراحل متقدمة في رسالته مابين الدراسة النظرية والتطبيقات العملية، ومتابعة التجارب، كيف يعود للبحث عن والده؟

- لن يجدي حضورك نفعاً، لو اتصل والدك، سوف أبلغك على الفور.
- لا أعرف كيف وافقتي على ذلك؟
- أصر والدك على القبول سريعاً قبل فوات الأوان كما قال لي، بل لم

يستغرق الأمر بين موافقته واختفائه سوي ليلة واحدة حتي لا يعطي لنفسه أي فرصة للتراجع، ابقَ عندك، حتي لا نخسر كل شيء، اكمل دراستك، لا داعي للشوشرة، سوف يعود، أنا على يقين من عودته

شعرت بالاختناق والوحدة، من إخفاء كل شيء عن الجميع.

قبل انتهاء الأعوام الثلاثة بقليل، زارني أحد اقاربي، إنه ايهاب، أحد أبناء الأقارب بالسويس:

- كيف حالك يا إيهاب؟
- الحمد لله، انقطعت صلتكم بالسويس منذ فترة فأحببت أن أزوركم وأطمئن عليكم، أنا أعيش الآن في القاهرة، استأجرت شقة صغيرة، أعمل بالصحافة رغم تخرجي من كلية العلوم، والدي لم يكن مقتنعاً بتلك المهنة، رأيه دائما أنها مهنة البحث عن المتاعب، الآن أعمل بجريدة (علوم المستقبل) هل تسمعين عنها؟ إن عملي يتطلب أن أتابع دائما كل جديد في علوم المستقبل، عرفت أن محمود يكمل دراسة الدكتوراة في لندن.

أتي إيهاب وكأنه الشخص الذي أنتظره بلا موعد (للفضفضة)، رغم ترددي ومحاولتي إخفاء الحقيقة كما فعلت مع الجيران، لكن سبقتها دموعها رغم أنفها، ولم لا تحكي لهذا القريب؟ وماذا يضير في ذلك؟ الشاب إيهاب ذو

الملامح المصرية، صاحب الطموح اللا محدود، دائم البحث عن المجهول، خياله واسع كما تحدث عنه والده، يحلم منذ طفولته بارتياد الكواكب المجهولة، والاقتراب من النجوم وقيادة السفن الفضائية حول الكون كله، ملامحه شرقية، شعره قصير أجعد، ملامحه دقيقة، بروز خفيف في الأنف ترتكن عليه نظارة طبية تعبر عن نهم كبير للقراءة.

إيهاب: الدكتور أشرف حمدي.. سمعت عنه له أبحاث في مجال الأورام الخبيثة، نشرت له عددا منها في الجريدة، لكنني لم أسمع عن وهبة شاكر، هل تسمحين لي أن أحاول الاتصال بهما؟

- أتمنى ذلك، لكن هناك وعد بعدم الاتصال حتي تنتهي الأعوام الثلاثة.
- مجرد محاولة، اطمئني، لن أخبر أحداً حتي أصل إلى معلومات عن مكان الأستاذ سمير، حقا إنه موقف غريب يستحق البحث.

أسرع الصحفي إيهاب على الفور إلى عيادة الدكتور أشرف حمدي ولكن الممرض أخبره أن الدكتور أشرف مسافر في مؤتمر علمي، والموجود الآن هو الدكتور وهبة شاكر.

انفرجت أسارير إيهاب، لقد شعر أنه يقترب من شيء هام يفك به اللغز بمقابلة الدكتور وهبة، لم يبخل أن يدفع ثمن الكشف، حقيقي أنه مكلف، لكنه مقبل على سبق صحفي أو على الأقل يشعر بذلك.

إيهاب: دكتور وهبة هناك حالة تعرفها جيداً، منذ عامين تقريباً أتى إليك الأستاذ سمير فليفل مع زوجته الأستاذة زينب قريبتي، حالة ورم خبيث بالغدة الدرقية، لقد أخبرتهما بإمكانية الشفاء، وأن هذا يحتاج إلى العزل الكامل لمدة ثلاثة أعوام تقريبا.

- من خلال ما تفضلت به أنت صحفي، إذن أنت لست مريضاً؟
- صحفي في جريدة (علوم المستقبل)، أستطيع أن أفهم الحالة جيداً، كما أنني خريج كلية العلوم لكن مهنتي هي الصحافة ...
- أستاذ ايهاب، المكان هنا للمرضى فقط، وليس للأحاديث الصحفية، ربما أذكر قليلا حالة الأستاذ سمير، لكنها كانت تابعة للفحص مع الدكتور أشرف حمدي، إنه في الخارج، من فضلك تستطيع استرداد قيمة الكشف.

وقف الدكتور وهبة لإنهاء المقابلة محاولاً استدعاء ابتسامة باهتة على وجهه، خرج إيهاب من عنده وهو يشعر أن الأمر يثير الريبة، فكر سريعاً، ترك للممرض نصف قيمة الكشف، حاول أن يستدرجه ربما يعلم شيئاً...

قال له الممرض هامساً: هناك أبحاث خطيرة على المرضي الميئوس من حالتهم، سمعت أن الدكتور أشرف حمدي ومعه آخرون يعملون في مؤسسة طبية في الساحل الشمالي قرب سيدي عبد الرحمن، خرج الدكتور وهبة، نظر

بحدة تجاههما، فخرج إيهاب مسرعاً.

كان عليه العودة إلى الجريدة، لابد أن يكون على أتم الاستعداد لنشر الجديد من الأبحاث العلمية في العدد القادم، إنه يقوم بتبسيطها، شباب مصر في حاجة كبيرة إلى تبسيط العلوم بلغة جذابة يمكنهم فهمها دون مجهود، لا يريد نشر أبحاث صعبة في مصطلحاتها، يملها البعض بعد قراءة السطور الأولى، إنه عمل شاق، لكنه ممتع أن تكون في حالة بحث دائم عن كل ما هو جديد.

البحث الذي ذهب إلى دراسته وتبسيطه كان عن (الهرمونات)، يحتاج إلى سهرة منفردة مع احتساء العديد من فناجين القهوة، كان بحثاً رائعاً نشره في جريدة (علوم المستقبل) يوضح الجديد عن (هرمونات النمو).

في مبنى الجريدة جلس على مكتبه يقرأ بتركيز شديد مع فنجان القهوة المعتاد كل صباح، أتاه زميله شادي قائلاً:

- البحث الذي نشرته ربما يحدث انقلاباً في الأوساط العلمية، لكننا في مصر يا زميلي العزيز، قد يمر هذا البحث مرور الكرام دون أن يلتفت إليه أحد.
- أهم ما أقصد التنبيه إليه في هذا البحث، هرمونات النمو الطبيعية والمصنع منها تؤثر على النمو السريع لأعضاء الجسم، والجديد هنا هو الأثر الإيجابي لتلك الهرمونات لتطوير خلايا المخ أيضاً، باستخدام

هرمونات مركزة، بمعني أن الأمر لم يعد مرتبطاً بحجم الجسم فقط، وإنما بتطور المخ بما يناسب المرحلة العمرية.

- إيهاب ... أنت مجنون.
- العلم هو الجنون بعينه، تصور أنه يمكن تطور الجنين إلى شخص بالغ في الجسد والعقل خلال فترة زمنية قياسية، هذه هي (الفرقعة البحثية).

لم ينم إيهاب في تلك الليلة، تحدث مع نفسه عن غموض اختفاء زوج قريبته زينب، أين ذهب الأستاذ سمير؟ كان مصابا بسرطان الغدة الدرقية، حالته ميئوس منها، أبلغوه أن الوفاة ربما بعد ثلاثة شهور، إلا إذا ... إلا إذا خضع لعلاج على درجة عالية من الدقة لمدة ثلاثة أعوام! كيف ذلك؟ ولكن هناك خيط مهم لابد أن يبدأ به، الممرض في عيادة الدكتور وهبة، سوف يعود إليه لمعرفة المزيد.

لم يجرؤ إيهاب على العودة مرة أخرى إلى العيادة ولكنه اتصل بالممرض تليفونياً:

- أنا إيهاب فؤاد، لقد تحدثت معي عن وجود مركز للعلاج في الساحل الشمالي.
- أرجوك، لا تؤذيني في عملي.
- أريد مقابلتك خارج العيادة، لا تخشَ شيئاً، ما رأيك في موعد على

الغداء غداً، أكلة (كباب) شهية في أفخم مطعم يوم الجمعة القادم ..

تم اللقاء وأثناء تناول الغداء بدأ إيهاب الحديث

- أنا صحفي، وقريب الأستاذ سمير فليفل الذي زاركم بالعيادة منذ أكثر من عامين تقريباً.
- أتذكر جيداً هذه الحالة، فقد أتت زوجته بعد ذلك، وسألت عنه، وبصراحة لم تصل إلى شيء لمعرفة مكانه.
- أنا باحث وصحفي، لا تخفي أي شيء تعرفه، عملي لن يمسكم بسوء، ولكن كيف أصل إلى تلك المؤسسة الطبية بالساحل الشمالي التي يعمل بها الدكتور أشرف؟

بعد تردد حاول الممرض أن يختار كلماته بعناية، لكن عيناه كثيرة الحركة كشفت عن ميله إلى المراوغة:

- ذهبت إلى هناك منذ مدة طويلة، أعمل هنا في العيادة منذ سنين، تعودت أن أسمع ولا أتكلم خوفا على عملي، هناك الكثير لكن لا أستطيع....
- سوف أكافئك على أي معلومات تساعدني.

أخرج إيهاب مبلغاً سخياً ودسه في يد الممرض، سارع الأخير بوضع المبلغ في سترته بسرعة، سادت حالة من الصمت المتوتر، لم يقطعها إيهاب

تاركاً الفرصة لتفكير الآخر، بعد تردد همس الممرض

- لي قريب يعمل في نفس المركز شبه مقيم هناك، مسؤول عن مراقبة خطوط التشغيل الالكترونية، لكن ماذا تريد؟

قاطعه إيهاب

- أريد تحديد موعد مع الدكتور أشرف، أتمنى أن يكون في نفس المركز بالساحل الشمالي.
- مستحيل.. هذا معناه الكشف عن المكان، هذا غير مسموح به، لقد أعطيتك الكثير يا أستاذ ايهاب، من فضلك دعني أرحل الآن.

انصرف سريعا قبل أن تفلت منه أسرار جديدة، حاول إيهاب إيقافه لإغرائه بنقود أخرى، لكن محاولته باءت بالفشل، جلس بالمطعم وحده يفكر في الأمر من كافة الجوانب، طلب فنجاناً من القهوة بعد وجبة الكباب الشهية. لابد من ترتيب الأفكار من جديد؛ الطرف الأول عند قريبته (زينب) زوجة الرجل المفقود سمير فليفل، هل يمكن زيارتها مرة أخري؟ ربما يسفر الحوار معها عن استنتاجات جديدة؟

الطرف الثاني والأهم هو مركز الأبحاث بالساحل الشمالي، الأسهل أن أبدأ بالأولى، ثم أفكر في الثانية، لكن مع إنتهاء آخر رشفة من القهوة قرر التوجه فوراً إلى الأسكندرية.

(٦)

استقل إيهاب قطار الخامسة مساءً بعد إعداد حقيبة السفر بها ثياب مناسبة لرحلته، استطاع تأجير شقة في المكان الذي اعتاد عليه، عندما كان يقوم برحلات ترفيهية للاستمتاع بشاطيء سيدي بشر، أو زيارة الزملاء في فرع الصحيفة بالأسكندرية، لكنه الآن في مهمة مختلفة تماماً.

تناول طعام العشاء، جلس يقرأ احدى الروايات الشيقة لأجاثا كريستي، لقد تعود أن يقرأ بعض القصص المسلية والمثيرة قبل النوم لتخفيف التوتر الذي يضغط على عقله، بعد تصميمه على الذهاب إلى المركز البحثي في الساحل الشمالي.

استيقظ إيهاب قبل السادسة صباحاً، ارتدى البدلة الرمادية التي صممها بجيوب سحرية، دس في إحداها مسدساً صغير الحجم في جيب داخلي مغطي بطبقة نسيجية عازلة، لا يمكن كشف ما بداخلها، ودس في جيب آخر مسجلاً دقيق الحجم يستطيع أن يسجل بالصوت والصورة على شكل قلم رخيص الثمن، لقد كلفه اقتناء تلك الأشياء مبالغ طائلة.

كان يعيش وحيداً، يعود إلى منزله في أوقات ليلية متأخرة، ثم أنه باحث

طموح أراد اقتناء ذلك المسجل ربما يحتاجه يوماً ما، والآن فقد حان الوقت لضرورة حمل المسدس والمسجل، لم ينس المنظار الصغير، إنه من الأشياء الهامة في تلك المهمة الغامضة ...

انطلق متوجهاً إلى هناك، استقل حافلة متوجهة إلى شاطيء العجمي، ثم استقل سيارة أجرة اتفق مع سائقها أن يظل معه حتي يجد بيت صديق ينتظره قرب سيدي عبد الرحمن، حيث تعود التخييم مع زملائه في تلك المنطقة البكر في الساحل الشمالي.

أخيرا لمح إيهاب مبنى على مساحة كبيرة محاط بحديقة بها أشجار كثيفة، أمر السائق بالانصراف، فمازال الوقت مبكراً، سكون شديد يحيط بالمبني، بوابات كثيرة عالية صعبة التسلق يبدو أنها جديدة من الطلاء اللامع لها، دار حول المبنى في حرص ربما يجد مدخلاً، ظل يسير ببطء، مدققاً النظر هنا وهناك، حتي لمح بوابة أقل ارتفاعاً، ربما كانت قديمة بعض الشيء منذ تصميم هذا البناء.

لابد من تدبير خطة للاقتحام، إن الأمر يستحق المجازفة، دائما توجد ثغرات في تأمين الأماكن، يعلم إيهاب أن بالداخل مخزن أسرار خطير، لابد أن يتمهل، تحرك بالقرب من البوابة الحديدية القديمة، والتي يصل ارتفاعها

إلى مترين ونصف، بوابة ضيقة، أخرج منظاره بحذر شديد، دقق النظر داخل البوابة ...

استطاع أن يشاهد بوضوح أرضية مهملة بعض الشيء تغطيها البلاطات القديمة ويظهر في الجزء الواضح أمامه مساحات أخرى ترابية، تبرز منها الحشائش العشوائية، عكس الواجهة المزينة بالأشجار والزهور، لمح جداراً معلق عليه درفة خشبية ضخمة، لابد أنها تغطي شيء يمكن أن تكون لوحة الكهرباء التي تغذي المبنى، ولكن كيف يتأكد من ذلك؟

حرك المنظار قليلاً، لمح (سلما خشبيا) يستند بالقرب من الدرفة الخشبية، ولكن كيف يتم فتحها إذا أراد فصل الكهرباء حتى ولو لمدة ثوان معدودة تكفيه كي يدلف إلى الداخل، لابد أن هناك صفارات للإنذار في الداخل في حالة قطع التيار الكهربائي، تحرك قليلا وبمنتهى الحذر، انتقل من جانب المبنى، وابتعد أكثر من عشرة أمتار وركز الرؤية من منظاره، شاهد بوابة عملاقة تؤدي إلى ممر داخلي يبدو ضيقاً ومحاطة بأشجار كثيفة، إذن ماالعمل؟ هل فشل إيهاب في مهمته الصحفية؟ وحتى لو نجح في تسلق البوابة الداخلية والوصول إلى لوحة الكهرباء، لابد أن تغطية هذا المبني بالإضاءة وتشغيل الأجهزة الكهربائية مقسم إلى وحدات صغيرة داخل تلك اللوحة، كيف له أن يعرف؟ كان قد ابتعد أكثر عن المبني معتمداً على

منظاره لتوسيع مجال الرؤية، حينما سمع من بعيد نباحاً من الداخل، إنهم ايضاً يستخدمون الكلاب في حماية المبنى، ابتعد وابتعد، ثم أطلق ساقيه للريح وهو يشعر بالأسى من فكرة أن يعود أدراجه بخفي حنين دون أن يكشف أسرار هذا المبني المنيع ...

عاد إلى غرفته، وأعد فنجانا من القهوة، جلس يتأمل ما حدث، ويفكر من جديد، حاول أن يتمالك أعصابه، قرر أن يذهب لزيارة المقر الفرعي للصحيفة بالأسكندرية، لكن مازال الوقت مبكراً، ولكن ماذا يفعل الآن؟ جلس أمام (اللاب توب) يستكمل مقاله العلمي لكي يرسله إلى الجريدة في موعده، لكن كل تفكيره كان منحصراً في إيجاد حل لدخول المؤسسة البحثية بالساحل الشمالي ... .

تذكر الممرض الذي قابله وتناول معه الغداء، فليتصل به، لقد نجح أن يقابله من قبل وانفرجت أساريره بحصوله على المبالغ المالية التي قدمها له، لماذا لا يحاول من جديد؟

بعد محادثته في القاهرة علم أنه في حقيقة الأمر لم يكن شخصاً عادياً تقتصر مهمته على مجرد استقبال المرضى بعيادة القاهرة، كان على علم ودراية بخبايا العمل داخل المؤسسة، يتم استدعائه في أوقات متباعدة أو متقاربة حسب الأحوال، للتخلص من بعض الجثث البشرية التي لم يعد لبقائها أي

ضرورة، مؤسسة تجري تجارب في مجال الاستنساخ البشري على المرضى الميئوس من حالتهم المرضية، والمصابين بأمراض خطيرة، بعد وفاتهم قد تصلح بعض الأجساد لإجراء عمليات تحنيط لها، والبعض يحتاجون إلى دفنهم خارج المؤسسة، كان الممرض يقوم بتلك المهمة، نظير أتعاب مالية يقدمها له قريبه بالمؤسسة، لكن في الشهور الأخيرة، لم يحصل على أتعابه المتفق عليها، كان دائم الشكوى من ضرورة رفع الأتعاب في كل مرة يأتي بسيارته الخاصة، يحمل الجثة، كان يتعامل فقط مع قريبه الذي وعده بمضاعفة الأموال التي يدفعها له، لكن ذلك لم يحدث منذ بضعة أشهر ...

بعد محاولات عديدة للاتصال به مجدداً، أخيرا تمت المحادثة بنجاح:

- أنا إيهاب.

- أهلاً أستاذ إيهاب، تحت أمرك؟

- تعرف طلبي، أنا الآن في الأسكندرية، أحتاج إلى تسهيل مهمتي في دخول المؤسسة التي تحدثنا عنها، هل من الممكن التعرف على قريبك هناك، لك مني مكافأة سخية ...

-أستاذ ايهاب فكرت في طلبك بعد مقابلتي لك، واضح أنك (ابن حلال)، لكن الأمر قد يحتاج إلى بعض التكلفة، إنها مخاطرة كبيرة

-لا يهمك التكلفة، هل ستحدد لي موعداً معه؟

-هذا مستحيل، لا تؤاخذني، إذا ذهبت إلى هناك، سوف تكون النتيجة بالضبط كما حدث بالعيادة ...

- طلباتك، إنني اسمعك ...

- خمسة آلاف جنيه مبلغ بسيط، دفعة أولى، لا أعرف، قد ينكشف الأمر، لكن لابد أن يصلني المبلغ اليوم ...

- ما هي خطتك؟

- بالأمس طلب قريبي أن أجد له بستاني ثقة، ليرعى الأشجار، ويستكمل زراعة بعض المساحات المهملة بالدور الأرضي، دائماً ما يكلفني بمهمة البحث عن عمال نظافة مؤقتين، شرط ألا يكون لهم أسرة أو أبناء حتي يقيم بمفرده بالمؤسسة، هل لك خبرة في هذا المجال؟ من الممكن أن أرسلك إليه وتدخل المبني بمنتهي السهولة، عادة الأطباء هناك لا يبالون بعامل الزراعة لأن كل عمله خارج المبنى، وعلاقته فقط بالحديقة الخارجية، سوف أرسلك إلى قريبي، لكن لابد أن تؤكد لي أنك لن تجعله يخسر عمله ...

إيهاب مقاطعاً: أوافق.. فكرة رائعة، أرجو أن تطمئن، لقد درست وقرأت كثيرا عن (البستنة) يعني التعامل مع الزرع، أعدك بهذا، أريد فقط مشاهدة المبنى، من الداخل، سوف أتصرف بمنتهي الحذر...

- الخمسة آلاف جنيه، الدفعة الأولى ... أولاً ...

- سأتحدث إليك بعد ساعتين على أكثر تقدير، اتفقنا؟

قفز إيهاب من مقعده، توجه إلى أقرب ماكينة صرف، سحب بلا تردد مبلغ خمسة آلاف جنيها من حسابه في البنك، وضعها في مظروف، اتصل سريعاً بأحد الزملاء في مقر الصحيفة بالأسكندرية، إنه يعلم جيداً أن هناك حركة دائمة للسفر الي القاهرة: صباح الخير أنا إيهاب...

أهلا يا سيدي، ومبروك عرفنا أنه تم اختيارك لحضور المؤتمر العلمي في الأقصر، سوف أكون معك بالقاهرة غداً لتغطية المؤتمر المنعقد بالمركز القومي للبحوث، وفرصة لكي أقضي ثلاثة أيام كاملة معك.

بعد مقابلة إيهاب لزميله، واعتذاره عن حضور مؤتمر القاهرة معه قال:

- لقد استأذنت من رئيس التحرير أن أمكث هنا بضعة أيام، موضوع سوف أحكي لك عنه فيما بعد، هل ستسافر بالقطار أم بسيارة أجرة؟
- بالقطار السريع.
- أطلب منك أن تسدي إلى معروفاً.
- على الرحب والسعة.

- هناك شخص سوف يقابلك على محطة القطار، إنه في ضائقة مالية كبيرة، خدمتك أن تسلمه الظرف، سوف أجعله يحمل على صدره يافطة صغيرة مكتوباً عليها اسمك بخط واضح حتي تتعرف عليه، إنه معروف وخدمة كبيرة جداً.

قاطعه زميله: العفو.. حاضر لا تقلق .

تم الاتفاق مع الممرض، وصل إليه المبلغ، وكانت المحادثة التالية لإعداد الخطة لدخول مبنى المؤسسة المساندة للحياة بمنتهى اليسر.

يومان قبل الذهاب إلى المؤسسة كانت كافية لشراء ملابس مستعملة، تبدو قديمة وكالحة، طاقية لتغطية الراس لتكشف عن المساحة الأمامية لفروة رأس أصلع مستعارة، لم ينس أن يضع علامة سوداء مستديرة على خده الأيسر، وشنب قصير ملصق بعناية فوق الشفاه، مع حذاء جلدي يكشف عن الأصابع، في يده حقيبة صغيرة بها ثقوب صغيرة ينفذ منها أطراف صغيرة لثياب حاملها، كان حال إيهاب في خلقته المستحدثة جاهزاً للتوجه إلى المؤسسة المساندة للحياة، ومقابلة قريب الممرض الذي انتظره خارج بوابات المؤسسة عند العاشرة من صباح ذلك اليوم، تعرف عليه من (الشامة) المطبوعة على خده، سأله: ما اسمك؟

رد إيهاب: صبحي ... صبحي النرش

- عرفت إنك يتيم، عايش لوحدك.
- أيوة يا بيه، ربنا يخليه قريب سعادتك.
- دخلا معا من البوابة الجانبية التي وقف عندها إيهاب يحلم بالدخول منذ أيام قليلة، دخلها بكل هدوء ويسر وبدون أي مظهر من مظاهر العنف أو المغامرة، قطع أفكاره صوت المهندس: عرفت هتعمل إيه؟
- تحت أمرك يا أفندم.
- دورك تنظيف المداخل، ورعاية الزرع في الدور الأرضي، هذه البوابة مهملة سوف تبدأ في تنظيفها، هناك خلف جدار الكهرباء حجرة صغيرة بدورة مياه للمبيت، سوف أمر عليك كل يوم، التعامل هنا معي فقط، عملك في الدور الأرضي فقط، مفهوم؟
- مفهوم يا أفندم.. ربنا يخليك.

بدأ صبحي في ممارسة عمله على الفور، عمل اليوم الأول بجدية محاولاً أن يراه المهندس عندما يخرج لمتابعته، وكأنه مشغول تماماً ومنهمك في تنظيف الأماكن المهملة من المساحات المنزرعة والترابية ورشها بالمياه، طلب من المهندس شراء بعض النباتات لتزيين الفراغات القريبة أسفل لوحة الكهرباء ...

بعد يومين قرر إيهاب أن يبدأ مغامرته الاستكشافية مهما كان الثمن فمن الصعب الانقطاع عن عمله أكثر من ذلك، فقد ينكشف أمره قبل أن يفك طلاسم هذا المكان، إنه مقيد بالدور الأرضي فقط، يتوارى عن الأنظار حتي لا يراه أحد غير مهندس الالكترونيات ...

كما وعد الممرض لابد أن يفي بوعده ولا يعرضه للأذى، في الفجر خلع ملابس البستاني، أزال طبقة الشعر المستعار، رفع البقعة السوداء من وجهه مرتديا ملابس إيهاب، تسلح بكل الأدوات التي أحضرها في المرة الأولى، مازال يخفيها معه، توجه سريعا إلى المكتبة التي لاحظ وجودها بالدور الأرضي، فتح الباب بهدوء، دخل سريعا وأغلق الباب خلفه، سار بضعة خطوات، فجأة سمع صوتاً: من أنت؟!

كانت مفاجأة أن يجد شخصاً بالداخل، التفت التفاتة مباغتة ... من! من أنت! هل أنت الأستاذ سمير زوج قريبتي؟! أنا إيهاب أعمل صحفي في جريدة علوم المستقبل.

- نعم أنا سمير، فلتقل أني نسخة طبق الأصل من سمير، بهيئته، وملامحه، حتي بذاكرته، لكنني لا أعرفك، كيف وصلت إلى هنا؟
- إنها قصة طويلة، لكن الآن حدثني عن نفسك؟

تحسس إيهاب جيبه وأخرج منه القلم ليقوم بتسجيل الصوت والتقاط الصور، ثم بدأ سمير في الحديث :

- أتحدث إليك بذاكرة سمير الذي أتى إلى هنا للشفاء من سرطان الغدة الدرقية.
- زوجتك قلقة جداً، لا تعرف شيء عن سر اختفائك.
- قلت أنني نسخة من سمير الأصلي، لماذا خاطرت بقدومك إلى هذا المكان؟ أمن أجل فضولك الصحفي؟ اسمع.. لا أريد أن أضيع وقتاً طويلاً في حديث ليس منه فائدة، سوف يكتشفون أن شخصاً قد اقتحم المكان.
- أذن أين سمير والد محمود وزوج زينب قريبتي؟!، أود أن أساعدك، ماذا حدث؟

تحسس سمير جبهته وكأنه يحاول تذكر شيء ما، بينما تحسس إيهاب جيبه ليطمئن على تشغيل مسجل الصوت والصورة، ثم بدأ سمير في الحديث.

- جاء سمير هنا للشفاء من سرطان الغدة الدرقية، والحالة كانت متقدمة وميئوس من شفائها، تمت الجلسات داخل فقاعات غريبة، شفافة، مصنوعة ربما من ألياف صناعية معقدة، ليتم علاج الأنسجة المصابة، كما تعرف أنني كنت في أوكرانيا وقت حادث تشرنوبل، أؤكد لك أنني

نسخة من سمير بكل تاريخه، وذكرياته، وحياته المهنية، مؤكد هناك نسخة أخرى ربما أرسلوها إلى قريبتك، لا تقلق ...

إيهاب: وماذا كنت تفعل؟

- كنت ضابطا بالجيش المصري، سافرنا في بعثة إلى الاتحاد السوفيتي السابق، مع بعثات أخرى من بعض الدول الاشتراكية، بعد حادثة التسرب الاشعاعي في تشرنوبيل، صدرت أوامر لنا بالعودة، عشت السنوات الماضية بلا مشاكل، لكنهم اكتشفوا أن الاشعاع النووي تراكم في الغدة الدرقية، وبمرور الوقت تسبب في السرطان.
- ماذا؟
- لا تقاطعني ليس لدينا متسع من الوقت، كانت الدورة ساتراً لمهمة سرية أخرى، تطوير سلاح نووي جديد لا يعرفه العالم، ما أحكيه لك فوق التصور، عندما فشلت المخابرات الغربية والأمريكية في الوصول لمعلومات المشروع، اتخذت قراراً بتنفيذ (الخيار صفر)، وهو تدمير المنظومة بكل ما ومن فيها.
- هل تقصد أن حادث تشرنوبل كان مخططاً من قبل دولة ما أو جهاز مخابرات؟
- نعم ... قاموا بنسف المشروع برمته.

- حتى لو كان ذلك على حساب سلامة البشر وتهديد حياتهم .
- حتى لو كلف ذلك كل سكان الاتحاد السوفيتي، المهم ألا يكون لديهم القدرة على إنتاج سلاح يخل بالتوازن الاستراتيجي بين الدولتين.
- ولماذا لم ترد المخابرات السوفييتية الكي جي بي على هذا الهجوم الخطير؟
- ربما لأنها لا تملك دليلاً واحداً دامغاً على تورط السي آي ايه في الموضوع رغم تأكدها أنها من نفذت العملية؛ فلا يوجد جهاز استخباراتي في العالم يمكنه القيام بتلك العملية المعقدة سواها، أو ربما انتظاراً لإعداد عملية انتقامية أخرى قد تستغرق بعض الوقت.
- وما دورك أنت في تلك المسرحية؟
- كنت مشاركاً وضالعاً في الأبحاث الخاصة بهذا السلاح مع خبراء من عدة دول موالية للسوفييت، كنت أقوم بالمشاركة في تركيب أجهزة شديدة الدقة والصغر(نانو تكنولوجي) داخل السلاح النووي، كنا نقوم بتطوير سلاح نووي من معادن رخيصة غير مشعة ومتوفرة.
- فكرة العالمة سميرة موسى التي اغتالتها يد الغدر؟
- نعم .. ولهذا سعى السوفييت لدمجنا في العملية وتسميتها سنبو١ .
- سنبو١؟

- نعم.. اسم القرية التي ولدت بها سميرة.
- وماذا يريدون منك الآن؟
- استخراج المعلومات العسكرية الخاصة بمشروع سنبو١.
- ألم ينجحوا في ذلك؟
- تواجههم صعوبات جمة.
- وما هي الصعوبات التي تواجههم؟
- الذكريات حول العملية مموهة أو محرفة وربما ممسوحة.
- كيف؟
- لا أحد يدري، ربما قام االروس بمحوها بطريقة ما.
- وكيف حددوا منطقة الذاكرة التي تخزن فيها تلك المعلومات؟
- لا أدري والمخابرات الأمريكية لا تدري.
- ألا تتذكر؟
- كل ما أتذكره أنه بعد إفشال العملية دعونا لاجتماع وداع قصير، خرجنا من بعده إلى بلداننا فوراً ودون إبطاء.
- ألا توجد وسيلة لمحو جزء محدد من ذاكرة الفرد؟
- توجد وسيلة يتبعها أساتذة الطب النفسي، وبرع فيها الروس منذ زمن طويل.

- ما هي؟
- التنويم المغناطيسي.
- نوم مصطنع؟
- لا .. التنويم المغناطيسي هو حالة طبيعية جداً، الفترة التي يكون فيها جسدك في كامل استرخائه؛ هي التي يستغلها المعالجون النفسيون لترسيخ شيء أو محو ذكريات ما من عقلك اللاواعي ...
- هذا معناه أنهم قد قاموا بتنويم أفراد فريق تطوير السلاح ووجهوهم إلى زمن تنفيذ العملية وأزالوا أو شوهوا المعلومات؟
- ربما فعلوا ذلك.
- هذا معناه أنك لن تخرج أبداً من هذا السجن العجيب حتى يحصلوا على ما يريدون؟
- نعم ربما استمر هنا وقتا طويلاً، وربما حتى الموت، لا أدري، لكنهم وعدوني بإرسال أموال كثيرة إلى زوجتي، هل تعلم شيئاً عن ذلك، هل زارها أحدا؟ هل استلمت شيكاً من أحد

فجأة دق الباب بعنف، وحدثت محاولات عديدة لدفع الباب من الخارج، ارتبك سمير وإيهاب متخذين موقف الدفاع، لم يتوقعا قدوم أحد في هذا التوقيت المبكر.

(٧)

نجح الشخص خلف الباب في دفعه من خلال تسليط مولد أشعة فوق صوتية مكثفة من مولد على شكل قلم، اندفع الباب إلى الخلف بقوة، تدارك إيهاب الموقف بسرعة، وصوب مسدسه نحو رأس المقتحم قائلاً:

- أنا لست لصاً، أنا صحفي في جريدة علمية، أريد فقط التعرف على ما تفعلون هنا، لن أبوح بأسراركم، في الوقت نفسه مستعد أن أدفع حياتي ثمنا للكشف عما تفعلوه هنا، تقدم في هدوء، افتح الشاشات هنا، وإلا أطلقت الرصاص.

كان إيهاب يفكر بشكل متهور، لابد أن يجازف ويتكلم بثقة أمام الشخص المسؤول عن نقل الذكريات السرية من المخ، لا يملك شيئا الآن في هذا المركز الغامض سوي الثقة في نفسه وفي جرأة التصرف حتى وإن كان يجازف بحياته، استطاع ببراعة شديدة أن يغير من هيئته، لم يستطع المهندس أن يكتشف أن إيهاب هو صبحي البستاني البسيط.

- أعرف أنك على صلة بالممرض الذي يعمل في عيادة الدكتور وهبة أليس كذلك؟

- كيف عرفت؟... ربما ...
- أعرف أشياءً كثيرة، الآن افتح الشاشات واشرح لي كيف تسجلون وتراقبون مخ الأستاذ سمير؟

حدق القادم في وجه إيهاب وفي المسدس المصوب تجاه رأسه، تلفت حوله في حذر ربما يجد مخرجاً من هذه الورطة، أسرع إيهاب واقفا خلف المهندس حتى يقطع عليه أي شكوك إذا استمر في النظر إليه، عاجله قائلاً:

- اشرح لي كل شيء، وإلا سوف أفجر هذا المكان على رأس ما ومن فيه.

تقدم الرجل ناحية إحدي الصور المعلقة على جدار المكتبة وأمسك بها في هدوء، إنها في الحقيقة جهاز تشغيل عن بعد، فتح الجهاز فظلت شاشته بيضاء ولكنه تحرك من مكانه يدور في أنحاء المكتبة، لقد كانت كلمات المرور عبارة عن بروزات يضغط عليها منتشرة على كل جدران الحائط، تغير لون الشاشة إلى اللون الأزرق، التفت الرجل خلفه ينظر إلى يسمير ثم إلى إيهاب الواقف خلفه في وضع استعداد.

تحدث الرجل وهو يشير إلى الشاشة الزرقاء:

- لن تفهم شيئا هنا، لابد أن تعرف أننا مركز علمي يخدم البشرية، يتم تكليفنا من جهات مختلفة لنقوم بمهام علمية ليست لها علاقة بأي انتماءات سياسية أو أيديولوجية أو طائفية، مثل محاولة نقل ذاكرة

شخص إلى شخص آخر.

- هل الذاكرة كتلة واحدة يمكن نقلها؟
- تتكون الذاكرة من أجزاء.
- الجزء الأول؟
- الذاكرة الحسية التي تستقبل المعلومات، والمدخلات من العالم الخارجيّ، من خلال الحواس الخمسة، فالعين تستقبل الخبرات البصرية على هيئة صور، والأذن تستقبل الأصوات على هيئة موجات مادية، والدور الأساسي لهذه الذاكرة هو نقل صورة العالم الخارجيّ بكل محتوياته بشكل دقيق.
- والجزء الثاني؟
- الذاكرة قصيرة المدى لتسجيل ما يقع في حياة الفرد اليومية بشكل ومؤقت، وتقوم بإجراء بعض التعديلات والتغييرات على المعلومات بشكل أولي.
- والجزء الثالث؟
- الذاكرة طويلة المدى وهي المخزن الدائم والأبديّ للمعلومات على اختلافها، وتعدد أصنافها، و تعمل على تسجيل كافة الخبرات، والمواقف المهمة والعملية التي يتعرض لها الفرد.

- وما الذي تفعلونه هنا بالضبط؟
- نحاول تسجيل المعلومات التي يختزنها مخ الإنسان أو تلك التي يريد الاحتفاظ بها إلى الأبد لأسباب مهنية أو عاطفية أو دراسية على وسائط الكترونية، بعد حقنه بإنزيمات لتنشيط الذاكرة.

حرك الرجل يده في اتجاه معين، ظهرت الصور الغريبة على الشاشة، بعضها يجسد مخ الانسان وبعضها يمثل ذبذبات في صورة نقاط تتحرك على الشاشة، بعد تفكير سريع، استطرد الرجل قائلا :

- لا تطلب مني تفاصيل أكثر حتى لو قتلتني، أو حتى فجرت المكان.

أبعد ايهاب المسدس وأومأ برأسه موافقاً بعد أن تحسس من جديد القلم الذي يسجل بالصوت والصورة.

- الأستاذ سمير جاء هنا للعلاج، للتخلص من الورم الخبيث، لكنني أجد الآن مركزاً محترفاً في نقل الذاكرة و التجسس.
- لا تحاول أن تأخذ مني أكثر من ذلك وكفي.

انقض الرجل فجأة وقبض بقوة على يد إيهاب الممسكة بالمسدس محركا إياها إلى أعلى حتى انطلقت رصاصة مدوية، في ثوان صوب أحد ما رصاصة أصابت كتف إيهاب الذي حاول الهروب والركض رغم شدة الألم الذي يعتصره.

صراخ ... وصراخ من الألم، فتح عينيه، نظر حوله ومازال يشعر بالألم، لكن ... إنه مازال في فراشه في الشقة التي استأجرها ليلة أمس ....

نهض إيهاب يتحسس جسده من جديد، وينظر حوله للتأكد أنه بلا إصابات، تذكر المسدس، جري يتحسسه، واطمأن أنه لم يطلق منه رصاصة واحدة، ثم أمسك بالقلم الذي يستخدمه كمسجل وكاميرا، قام بتشغيله، وضعه على المائدة الصغيرة بجوار الفراش، استوقفه سماع أصوات، سمير يتحدث، الرجل يشرح له، صوت الرصاص، شعر بفزع وخوف شديدين، حتى أنه انكفأ على وجهه واصطدم بالحائط، وراح في إغماءة قصيرة.

أفاق على يد حانية تحاول إيقاظه، فوجئ بشخص يجلس قبالته مبتسماً له في ود، قائلاً:

- حمد الله على السلامة..

إنه سمير! قام إليه منفعلاً..

- ماذا فعلوا بك عندما اقتحموا علينا الغرفة وأنت تحكي لي عن نقل الأفكار.
- لم ألتق بك أو أتحدث معك من قبل، رأيتهم يطاردونك، وأنت تجري بأقصى سرعة، تابعتك بعد أن تعرفت عليك، أنت إيهاب الصحفي، أطلقوا عليك النار فطاشت الرصاصة وسقطت، قمت بسحبك إلى

الداخل لأخفيك عن عيونهم، بعد فحصك تبين أنك سليم، لم يصبك شئ، ولكن صوت الرصاصة ربما أعطاك الإحساس بأنك أصبت، قمت بتفتيشك عرفت عنوانك هنا، أسرعت وأحضرتك على الدراجة البخارية التي تركتها بالقرب من الباب الخلفي للمركز.

- من أنت؟ ألست سمير زوج قريبتي؟
- نسخة طبق الأصل من الذي شاهدته في المؤسسة، ألم تقم من قبل بعمل نسخة احتياطية من الملفات المهمة على الحاسوب خشية أن تتلف إحداها فيكون لديك نسخة احتياطية، أنا النسخة المخزنة من سمير، البعيدة عن الأنظار، تعرف أنهم قد ينجحون في إنتاج بعض النسخ، بسبب احتمال فشل الأخرى.
- لماذا جئت إلى هنا؟
- أردت أن أنقذ حياتك، وأن أنقذ النسخة الاحتياطية فربما أهلك وتضيع ذاكرتي.

دس يده في جيب سرواله وأخرج منه (فلاشا) قدمها إلى إيهاب قائلاً: هنا كنز من المعلومات التي قد تبحث عنها، لكن أنصحك ألا تستخدمها الآن، سوف يجن جنونهم لخروجي معك، لأنهم يدركون تماماً أن الحاضر يضاف إلى ذاكرتي..

تتبع الباحث بالمركز خروج سمير بأجهزة التتبع الالكترونية، وصل بالفعل إلى مكان إقامة إيهاب، دفع الباب في عصبية، انتزع الفلاشة من يد إيهاب، خرج ومعه سمير(مخزن المعلومات الاحتياطي) دون أن ينبس ببنت شفه.

حك إيهاب رأسه في عصبية، وقال :

- يبدو أننا سندخل في متاهة العميان، رأيت سمير الأول الذي يعمل في مشروع سنبو١، وتحدثت معه، دخل أحدهم وأطلق على النار، فأنقذنا سمير رقم٢النسخة الاحتياطية من ذاكرة سمير سنبو١، يا ترى كم من سمير سنرى في تلك الأحداث العجيبة والمريبة.

لا يدري كيف قفز إلى فكره موضوع زراعة أكثر من بويضة مخصبة في رحم الأم أثناء إجراء عمليات الحقن المجهري لضمان احتمال التصاق أحدها بالرحم واستكمال الحمل، وفكر إيهاب أنه ربما توجد عمليات نسخ متعددة لسمير زوج قريبته، وليست نسخة واحدة فقط.

(٨)

إن حدوث خلل في أدق الأنظمة الالكترونية المعقدة هي أمر وارد الحدوث، والدليل على ذلك فشل بعض رحلات السفر عبر الفضاء والتي راح ضحيتها العديد من روادها بعد رحلات كانت توقعات النجاح فيها كبيرة للغاية.

في (المؤسسة المساندة للحياة): لم تكن المكتبة سوى محطة انتظار مصغرة لدخول البشر الذين تم إعدادهم من خلال عمليات الاستنساخ ، والاستفادة من ذاكرة البعض في حالة تكليف المؤسسة للقيام بتلك المهمة، لكن الخلل الذي حدث، هو انفصال الوصلات الالكترونية العصبية عن غرفة للتحكم، وبالتالي خرج مترجم الذبذبات العصبية عن العمل.

اكتشف مهندس الالكترونيات الخدعة التي قام بها إيهاب، خاصة بعد اختفاء (صبحي الجناييني)، اعترف للدكتور أشرف بهجوم إيهاب على المكتبة التي كانت خارج نطاق السيطرة في ذلك الوقت ...

عرف الدكتور أشرف بين مساعديه ببرودة الأعصاب، رجلٌ نحيلٌ، طويل القامة، ذو بشرة سمراء وعينين غائرتين، كان مظهره المتواضع وأسلوبه المباشر مناسبين لشخص استطاع استثمار علمه وذكائه في جني

ثروة كبيرة من خلال تقديم مجموعة من الخدمات السرية، ويمكن أن تعلن عن نتائجها العلمية وفقا لرغبة الجهة الممولة لتلك الخدمات.

إنها ليست خدمات عادية، لكنها ترتبط بمشاريع علمية حديثة ودقيقة، ميزانياتها تصل إلى مليارات الدولارات، لم يسبق للدكتور أشرف في حياته المهنية أن حنث بوعد أو تراجع عن تنفيذ اتفاق مطلقاً، كانت صادق الوعد، كلمته ضمانة حقيقية للاتفاق.

الدكتور وهبة هو الرجل الثاني بالمؤسسة ولسان حالها، ممتلء الجسم، منتفخ الوجه قليلاً، ذو بشرة بيضاء ناعمة، يخط فوق شفتيه شارباً خفيفاً يضفي عليه مسحة من الوسامة، معروف بمرونته ولباقته حينما يتلقى الأوامر من الجهات العليا بالإعلان عن بعض تلك الأبحاث خاصة في المؤتمرات العلمية الدولية.

دار الحديث مقتضبا بين الدكتور أشرف و مهندس الالكترونيات:

-لا شك أن ما حدث في الليلة الماضية خطأ جسيم، ليس لدينا أي قلق من معرفة الصحفي بعض المعلومات عن عملنا، لكن تسريبها قد يفضح ما سوف نشارك به في المؤتمر العلمي القادم في الأقصر، والآن ابدأ في التجهيز الفوري لسفرك مع سمير إلى منطقة ٦ أكتوبر بالجيزة، إنها مهمة عاجلة وسرية للغاية، سوف تعرف العنوان الدقيق قبل التحرك مباشرة .

(٩)

اقتاد الباحث بالمركز سمير إلى سيارته، لتنفيذ مهام علمية أخرى على ذاكرته في مكان آخر يبعد مئات الأميال عن المؤسسة التي بدأت تحوم حولها الشبهات..

بعد ساعتين، وصل الباحث إلى فيلا هادئة بمنطقة ٦ أكتوبر بالجيزة بالحي المتميز، عليها لوحة تحمل اسم الشركة المصرية الأمريكية للمستلزمات الزارعية.

بعد احتجازه ليومين عومل فيها سمير معاملة راقية من حيث المأكل والمشرب والإقامة، قاموا بقياس كفاءة العمليات الحيوية في جسمه، وحقنوه بمنشطات الذاكرة للوصول بها إلى أقصى درجات الكفاءة، دخلت منومة مغناطيسية بارعة الجمال.

جلس سمير على كرسي مريح في جو منعش، وصوت الموسيقى الهادئة يغلف المكان، طلبوا منه تركيز العينين على مكان عالي، ثم العد حتى الرقم خمسة في الشهيق، والعد حتى الرقم خمسة في الزفير، سببت هذه الاهتزازات المنتظمة للجهاز التنفسي الاسترخاء العميق والانجراف نحو حالة تشبه

النوم، العينان فيها مقفلتان، الجفون هادئة، الفكان مرتخيان، الشفتان بالكاد تتلامسان، اللسان ملتصق بقاع الفم، الرقبة مرنة، الأكتاف ثقيلة، الذراعان متهدلان، والتنفس هادئ ومنتظم.

للوصول إلى أفضل النتائج عملوا على إيجاد صلة عاطفية بين سمير ومنومته، كانت عيناها الخضراوتان عميقة كالمحيط واسعة كالفضاء، دافئة كشمس الصباح في ليلة باردة.

المنومة: اغمض عينيك، انظر إلى المصباح، تنفس ببطء، خذ شهيقاً طويلاً وأخرجه على دفعات، تمام، كرر ما تفعله مرة أخرى، نعم هذا ممتاز، سأعد من واحد إلى خمسة وبعدها لن تسمع غيري... ما اسمك؟

سمير: سمير فليفل.

- ستذهب بفكرك إلى فترة الدورة التدريبية في أوكرانيا، فلتذهب الآن.. هل وصلت؟
- نعم..
- أنت الآن في أول شهر يناير، عام ألف وتسعمائة وستة وثمانون، الساعة التاسعة صباحاً، أين أنت الآن؟
- في معمل الطاقة في المفاعل النووي بتشرنوبل.

- ماذا تفعلون؟
- يتم إجراء عملية في الوحدة الرابعة.
- وما هو الغرض من تلك العملية؟
- تنفيذ تجربة محاكاة لإطلاق سلاح نووي جديد.
- ما هي اسم المشروع؟
- مشروع سنبو١
- ما طبيعة هذا السلاح ومم يتكون؟
- سلاح تدمير شامل نووي مصنع من معادن رخيصة ومتوفرة وغير مكلفة.
- ما طبيعة عملك داخل المشروع؟
- اعمل في وحدة مفجر القنبلة بإطلاق النيوترونات البادئة للتفاعل المتسلسل.
- أي المعادن تستخدم لصنع تلك القنبلة؟
- بدأنا بالنحاس وانتهينا بالخارصين.
- الفكرة العلمية؟
- سنقذف نواة الزنك بنيوترون من المفجر، يقسم النواة الغير مستقرة إلى نواتين أخف من الفوسفور ويتحرر ثلاثة نيوترونات تتكفل باستكمال

التفاعل المتسلسل.

- وما الفرق بينها وبين القنبلة النووية أو الانشطارية؟
- الفرق أننا نستخدم عنصر رخيص ومتوفر ونواتج التفاعل مفيدة، كما لا يمكن الكشف عنه بسهولة.
- هل هناك تخطيط أو رسوم توضح أجزاء السلاح؟
- نعم.
- انظر إليه جيداً وركز فيه لأقصى حد.

ضغطت المنومة على جهاز طباعة فظهرت الرسمة غير واضحة، فقالت:

- اقترب أكثر من الرسم وركز بصورة أكثر دقة.

ضغطت المنومة مرة أخرى وظهرت صورة واضحة للسلاح.

- هل تذكر أسماء فريق البحث؟ اذكر أسمائهم وجنسياتهم ومهمة كل فرد بالتحديد.

بدأ سمير في نطق أسماء الفريق بصعوبة، والمهمة التي كلف بها، كأنه يقرأ من نسخة رديئة ومهترئة، حتى انتهى وصمت.

قالت المنومة بصوت دافئ: سأعدّ من واحد إلى خمسة، وستكون واعيًا تمامًا، ومنتبهًا، ومنتعشًا عندما أصل إلى العدد خمسة، واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة..

قام سمير الأول سنبو١ بفتح عينيه في تثاقل، ونهض من مقعده، أحس بأنه كان يحلم، المشكلة أنه لا يتذكر أي جزء من الحلم رغم أنه كان مدركاً أنه مستيقظ، كان شبه نائم و شبه مستيقظ بطريقة ما.

قررت المنومة أخذ فترة من الراحة ريثما يبدأون الجلسة التالية لكشف المزيد من الأسرار والمعلومات التي نجحت في دفعها من العقل الباطن وتطمع في الحصول على التفاصيل الصغيرة حول المشروع وتفاصيل مهولة مطلوب منها تفريغها من مخ السيد سمير سنبو١.

كانت مهمة المؤسسة تنفيذ التعليمات المطلوبة خاصة أن لديها من الخبرات ما يفسح لها المجال للكشف عن أسرار دفينة في المخ البشري، وقد نجحت بالفعل في هذه المهمة من خلال التنويم المغناطيسي في تفريغ تلك المعلومات على الرغم من محاولات الروس لطمسها أو تشويهها.

استخدمت المنومة الحسناء مهارتها للمرة الثانية للتأكد من صحة ما توصلت إليه، بعد تكرارات الصور التي عرضتها على (سمير سنبو)، تأكدت إنه سلاح يعمل بتقنية النانو تكنولوجي، يمكن توجيهه إلى الجهة

المستهدفة دون أن يتم كشفه بواسطة الرادار على الاطلاق، يصل مداه إلى آلاف الكيلو مترات.

الغريب في الأمر أنهم اكتشفوا وجود كاميرات دقيقة في مكونات القنبلة تنتشر مع الانفجار في ساحة المعركة، تقوم بتصوير ساحة العمليات ونتيجة الانفجار وقياس قوته، وتنقل صوراً من الهدف بعد إصابته بدقة عالية، حجبت المعلومة الأخيرة عن العميل بطلب من الدكتور أشرف حمدي شخصياً.

(١٠)

حينما يغترب المرء عن وطنه، يظل مجذوباً إليه مثل الكوكب الذي يدور حول الشمس، يبتعد عنه لكنه يتحرك حوله، ولا يمكنه الانفلات بأي وسيلة من أسره.

عاد محمود بعد حصوله على شهادة الدكتوراة في الهندسة الوراثية، اطمأن على عودة والده بعد سماع صوته عبر الهاتف، في المطار كان اللقاء حاراً، قبلات ودموع، لم يصدق أن والده يقف أمامه بخير وصحة، اعتصره الفضول ليعرف ماذا حدث لوالده في فترة العلاج ، لم تشأ زينب أن تسأل زوجها، كانت في انتظار أن يتحدث سمير عن تجربته مع (الفقاعة المعقمة) بالغة الدقة والتأمين ضد التلوث.

نجحت زينب في الانفراد بولدها، بعد خروج سمير للتسوق وتحصيل معاشه الشهري، جلست زينب في مواجهة محمود :

- لا أعرف كيف أنقل لك شعوري تجاه والدك، هناك شيء غريب لا يمكنني التعبير عنه.
- والدي بخير، لا تنسي الابتعاد مدة ثلاثة أعوام، ما يشغلني الآن هو

كيف قضى كل ذلك الوقت؟ هل حكى لك بعضا من ذلك؟

- لم يحك شيئاً، ولم اشأ أن أسأله، طبيعي أن يبدأ هو أليس كذلك؟
- ولِمَ كل هذه الحيرة؟ سوف أسأله عن حياته، وكيف كان العلاج؟ لا تقلقي المهم أنه بخير.
- محمود أنت تعرف الفستان الذي كنت أرتديه في بعض الأحيان، الفستان الأبيض ذو الورود الصفراء، ارتديته قبل أن يذهب وارتديته أيضا عند عودته، وكان شديد الإعجاب به، لم يعلق عليه على الإطلاق .

ضحك محمود من أعماقه، حتى ظهرت علامات الغضب على أمه.

- يا أمي لن نستطيع أن نصدق هواجس مبنية على نسيان فستان أبيض منقوش بالورود الصفراء، مر ثلاثة أعوام على الموضوع، طبيعي أن ينساه ويسقط من اهتماماته.
- محمود، لقد أصبحت رجلاً، هناك أحاسيس لا أستطيع أن أصفها لك، أتمنى أن أكون مخطئة، لكن ...

جلس الثلاثة يتناولون الغداء، ووجه محمود الحديث إلى والده.

- أبي.. شعرت كثيرا بالقلق على صحتك، أتمنى أن تكون ظروف علاجك قد مرت على مايرام، هل كان معك أطباء أجانب أم كلهم من

المصريين؟

- محمود.. اطمئن أنا بخير، كل ما أحتاجه منك الآن السفر إلى الأسكندرية للترويح عن النفس وتغيير الجو، أعرف أنك سوف تستلم عملك في جامعة الأسكندرية قريباً أليس كذلك؟
- بالفعل يا والدي، سوف استلم العمل بقسم الهندسة الوراثية، فكرة السفر ممتازة، سوف أحجز لك أنت وأمي في أحد الفنادق، وسألحق بكما بعد يومين أو ثلاثة على الأكثر، حتى أقوم بتجديد بطاقة الرقم القومي وجواز السفر.

زينب: ننتظر معك يا محمود ...

- لدي هنا عمل واجراءات كثيرة معظم الوقت، بين لقاءات في جامعة القاهرة، وأيضاً أود أن أعرف ماذاحدث لمنار، إنني قلق جدا عليها.

سافر الزوجان، جلس محمود في المنزل وحيداً، يود أن يلملم أفكاره، ما يخص بعثته، رحلة والده الغامضة للعلاج، ملاحظات والدته، حقاً إنه يشعر بشيء مريب، الأغرب ألا يكون الأب مهتماً بالحديث عن ذكريات العلاج لا من قريب ولا من بعيد.

كان محمود في سالف العمر شغوفاً بالروايات البوليسية والرعب التي انتشرت أيام شبابه، وكان مداوماً على سلاسل روايات ملف المستقبل، وله

عدة محاولات في كتابة أدب الخيال العلمي.

تلفت محمود حوله، أين نقطة البداية؟ ملابس والدي، عكف محمود يوماً كاملاً في تفتيش ملابس سمير، لم يجد شيئاً بالأدراج، حقائب السفر والتي لم يعثر فيها إلا على الملابس العسكرية، وبعض الملابس القديمة.

أرجو ألا يتملكك الملل يا محمود، استمر في البحث، ولكن أبحث عن ماذا؟ لا أدري، إنه أبي، لماذا تتوجس والدتي؟ وإن كان هناك شيء غير طبيعي لن يكون مكانه هنا في المنزل، اطمأن قليلاً، وفي محاولة جديدة غير جادة قبل أن يغلق (ضلفة) دولاب الملابس، حاول أن يعبث بالورقة الملونة التي تبطن قاع الدولاب، سمع صوت خشخشة تنم عن وجود شيء ما أسفل تلك الورقة، وجد حافظة سوداء صغيرة فتحها، فتش بداخلها بحذر، أخيراً عثر على مفتاح صغير جداً، أمسكه بعناية خشية أن يفلت منه ويسقط ولا يستطيع رؤيته، أعاد الحافظة مكانها، وفرش الورقة الملونة في قاع الدولاب كما كانت.

تلفت حوله، قام بجوله في أنحاء البيت هنا وهناك، ثم عاد إلى غرفة والديه من جديد، وقعت عيناه على الصندوق الصغير والمغلق القابع فوق المكتب، تحدث مع نفسه، فلأجرب هنا أدار المفتاح ببطء، لف المفتاح فإذا به يسمع صوت (تكة) وفتح الصندوق ليري كل شيء واضحاً.

ماهذا؟ خطابات،فتحها واحدة تلو الأخرى، ابتسم قليلاً، إنها خطابات والدته الغرامية التي أرسلتها إلى والده قبل الزواج في فترة سفره إلى (أوكرانيا)، يالها من رسائل حب، سوف أنتظرك، أخشى من الفتيات الشقراوات عندك، وصلتني رسالتك، لقد تأخرت كثيرا في الرد على رسالتي، ما هو موضوع المفاعل (تشرنوبيل)؟ الدنيا كلها مقلوبة، عرفت من رسالتك أنك سوف تعود بقرار مفاجيء، لكن هل ستأتي على السويس مباشرة أم ستمكث في القاهرة بعض الوقت، وحشتني.. أنا موافقة لابد أن تتم الخطبة بأسرع ما يمكن.

ما هذا؟ صور لوالديه، والدته ترتدي الفستان الأبيض ذو الورود الصفراء، كيف احتفظت به كل هذه السنين؟ تذكرت.. قالت أنها لم تكف عن ارتدائه، ولكن خلف الصورة تاريخ، إنه قبل سفري بعامين، لكن لا أعرف ما المناسبة التي تم فيها التقاط هذه الصورة؟ ليس مهما الآن.

ما هذا؟ اتسعت عينا محمود من الدهشة، ارتدى نظارته الطبية ليقرأ بعناية، إنه شيك (يصرف لحامله فقط) المبلغ (فقط مليونان جنيه مصري)، تاريخ الصرف المستحق بعد ثلاثة سنوات من تاريخه، انتابته حالة من الفزع، شيك؟ مقابل ماذا؟ بدأت يده تعبث من جديد بالصندوق الصغير، الغريبة أن هذا الصندوق المغلق موضوع فوق المكتب وكأنه صندوق عادي، ولكنه مغلق

بعناية، ما هذا؟ ظرف متوسط تم لصق أطرافه! لماذا !.

لا لن أنتظر لابد أن أعرف لماذا تم غلق هذا الظرف؟ وما هي محتوياته؟ لا أعتقد أن بداخله رسائل غرامية، سوف أفتحه بالبخار، لابد أن أهدأ حتي لا أترك أثرا لفتح الظرف، مع زيادة دقات قلب محمود، استطاع أن يفتح الظرف، وجد ورقة مطوية بعناية، قام بفرد الورقة، صورة والده، وصورة سيدة أخرى، إنها وثيقة عقد زواج!

إنه والده سمير فليفل، صورة الزوجة باسم سعدية رمضان أبو العينين، بابا.. ما هذا؟ متى؟ لماذا؟ نظر بداخل الصندوق، إنه صندوق الساحر، هل هناك مفاجآت أخرى؟ نعم.. نعم بطاقة رقم قومي واضح أنها جديدة، به اسم الزوجة سعدية رمضان أبو العينين، العنوان : بشتيل حارة الصف، محافظة الجيزة، العمل ربة منزل.

شعر بدوار، كاد أن يسقط مغشياً عليه، تمالك نفسه، يكاد أن ينفجر عقله، هل كل ذلك يرتبط بعملية الاختفاء؟ يالها من مفاجآت ...

(١١)

فكر محمود بأهمية التعامل بحذر في الخطوات التالية حتي لا تتفلت منه الحقيقة، اتصل عشرات المرات بصديقته منار، ليحكي لها ما حدث، قبل السفر تابعت معه معاناة والده مع المرض، اقتربت منه كثيراً، كانت تتردد عليه وتجلس مع والدته، لم تأتِ في أية مرة إلا ومعها هدايا مختلفة، راسلته بعد سفره إلى البعثة، لكنها منذ شهور انقطع اتصالها تماماً، حاول التواصل معها بعد اكتشافه لهذه الأوراق الخطيرة، لكن في نهاية الأمر كان الرد: هذا الرقم غير مسجل بالخدمة.

قرر الاتصال بزميلته سمر، يعرفها جيداً منذ دراسته بكلية الزراعة، يعرف محاولتها الدائمة في التقرب إليه ولكنه كان مشغولاً بمنار.

- سمر أود مقابلتك، لقد عدت من السفر، أحتاج إليك في خدمة.

رحبت بسعادة، تقابلا.. لم يصرح لها بالحقيقة.

- سمر أود أن نذهب معاً إلى سيدة بمنطقة بشتيل تدعي سعدية، يبدو أنها تعمل في خدمة المنازل، لابد من إقناعها أن تأتي إلى المنزل، سمر.. أعدك أن تعرفي حقيقة كل شيء، ولكن ليس الآن، سنذهب إليها

ونطلب منها الحضور لأننا مخطوبان ونحتاج لترتيب البيت قبل الزواج، سوف ننتظرها في منزلي أنا وأنتِ، أقسم لك سوف تعرفين الحقيقة بمجرد وصول سعدية إلى المنزل، ولكن أحتاج إلى وجودك بحانبي لنستقبلها معاً.

نظرت سمر إلى محمود وأومأت برأسها بابتسامة تعني الموافقة على كل ما يطلبه منها.

قاما بزيارة منطقة بشتيل، توجها إلى العنوان المسجل في الرقم القومي، يسأل عن (الست) سعدية، قابله أحد الصبية: نعم يا أستاذ، هل تريد سعدية في عمل؟ تردد قليلاً، بادرت سمر قائلة: نعم.

الصبي: إنها تنوي الانتقال إلى مكان آخر، لكنها موجودة الآن.

سعدية.. سيدة اقتربت من الأربعين، نحيفة القوام، خمرية البشرة، ضامرة الوجنتين، ولكن ما لفت الأنظار وجود أجهزة كهربائية جديدة في صناديقها المغلفة لم تستخدم بعد، ترتدي بعض الأساور الذهبية.

انتبه محمود لوجودها فوجه كلامه إليها: ست سعدية، سمعنا عن أمانتك وشطارتك في تنظيم البيت.

سعدية: مين حضرتك؟

تقدمت سمر لتساعده في ذكاء: السمعة الحلوة بتلف يا سعدية.

سعدية: عرفتم مكاني من مكتب التشغيل، أليس كذلك؟ رغم أن الأستاذ فهمي يعلم إني لم أعد أعمل بالبيوت.

سمر مقاطعة: سعدية.. والدتي مريضة، والفرح بعد أسبوعين، أرجوكِ ساعديني، يوم واحد أو يومين على الأكثر، ولك المبلغ الذي تطلبيه، سأحضر إليك هنا بالسيارة ونذهب معاً حتى لا تبحثي كثيرا عن البيت.

ارتاحت سعديه لوجه سمر وحديثها الهاديء الجذاب، تم الاتفاق، وفي الموعد وصلت سعدية مع سمر إلى منزل محمود، الذي حرص على رفع صور والده من على الجدران، و غرفة النوم.

(١٢)

دخلت سعدية، لاحظت وجود أثاث قديم، جدران يغطيها طلاء فقد لونه، استبد بها القلق، أغلق محمود باب الشقة بالمفتاح وبجواره سمر، أمسك بيد سعدية بقوة ودفعها إلى الداخل، وضع أمام عينيها صورة واضحة لوالده وصاح: هل تعرفين هذا الرجل؟ سمير فليفل.. تلعثمت سعدية: أنا لا... لا انتفخت أدواج محمود في غضب جارف وأعاد السؤال في عصبية: هل تعرفينه؟

سمر: لا تخشي شيئا يا سعدية قولي الحقيقة.

سعدية: لا أعرف ..

محمود مقاطعاً: وعقد الزواج هذا، ألا تعرفيه أيضاً؟ أريد الحقيقة.

سمر: تكلمي ياسعدية.

محمود: أريد الحقيقة، وإلا قتلتك، إذا تكلمتي بصراحة، أعدك بخروجك من هنا سالمة.

سعدية: سأتكلم ...

- كنت أعمل في أحد البيوت عند سيدة تعرف ظروفي، أنجبت طفلاً

ولكنه توفي بعد عام من ولادته، ثم مات زوجي، انشغلت بعملي في البيوت، في أحد الأيام فوجئت بتلك السيدة، تطلب مني طلبا غريباً:

- سعدية.. هل تريدين كسب نقود كثيرة ربما مليون جنيه أو أكثر.
- ماذا؟ مليون؟.. لا أفهم؟
- أقدم لك أكثر من مليون جنيه مقابل خدمة ...
- خدمة... ما هي الخدمة التي توازي مليون جنيه؟
- أنتِ تعيشين وحدك، وتتمتعين بصحة جيدة الآن، ربما بعد عدة سنوات لن تكوني قادرة على العمل، لقد أنجبتِ طفلا قبل ذلك، عندك رحم ينمو فيه الجنين قبل أن يولد، هناك رجل حالته ميئوس منها، ربما يموت خلال شهور قليلة، سوف نستخلص منه خلية واحدة، ببساطة قطعة ضئيلة جداً جداً، ونزرعها في رحمك، حتي تنمو، عملية بسيطة جدا سوف تنتهي خلال شهور فقط.

حاولت السيدة أن تشرح لي أكثر وأكثر، وتغريني بالمبلغ الكبير، بعد تردد طالبت أن أرى الرجل الذي سوف يزرعون جزء منه في رحمي، حتي أستريح اشترطت أن يتزوجني قبل العملية، لا أعرف لماذا فعلت ذلك، ربما لدفعهم للتراجع، أو حتى أشعر براحة الضمير.

- هل هذا الرجل هو الموجود في الصورة؟

- نعم هو.
- من السيدة التي عرضت عليكِ هذه العملية؟
- لا أستطيع .

صفعها بقوة على وجهها، مرات ومرات بمنتهى القسوة، حاولت سمر أن تخلصها من بين يديه، حتى صرخت: الدكتورة منار، دكتورة في كلية الزراعة.

صمت الجميع، نظرت سمر إلى محمود نظرة تعجب وحيرة، نظرة تغلفها ابتسامة خفيفة لها ألف معنى، صدمة كبيرة حاول محمود أن يستوعبها لكي يفهم ما حدث، دقائق مرت كأنها ساعات من الصمت، هدأ محمود قليلاً ثم تحدث بصوت أشبه بالبكاء: هل لديك عنوان الدكتورة منار؟

- أرجوك لقد صارحتك بكل شيء.
- لم تعد تدرس بالكلية، أين ذهبت؟
- لا أعرف، ما سمعته أنها تعمل في دراسات كبيرة، أرجوك أريد أن أعيش في سلام.
- مكان إجراء العملية، وأعدك لن أقترب منك بعد الآن.
- العملية كانت في قصر كبير، شكله غريب في الساحل الشمالي، وكانت الدكتورة منار موجودة وقت أن زرعوا النطفة بداخلي.

- عنوان الدكتورة منار؟ انطقي حالاً.
- عندها بيت في المنيل لكنها تقيم الآن في الأسكندرية، في عمارات الضباط عند شاطيء توليب.
- كام بالضبط
- لا أعرف ذهبت مرة واحدة معها، أرجوك اتركني.
- سعدية لقد سجلت لك كل كلمة، لن يصيبك مني أذى، كل ما أطلبه أن أعرف مكانك، ربما أحتاج إلى بعض المعلومات، إياك أن تختفي ...
- حاضر يابيه

أخذت سمر رقم الهاتف المحمول لسعدية وقامت بتجربته حتي رن الهاتف ثم أطلقت سراحها بعد موافقة محمود، كان لابد من مصارحة سمر بكل ما حدث، إنه الآن في رحلة البحث عن الحقيقة.

سمر: أعدك أن أقف بجانبك، هل ستواجه منار، كانت معنا في الكلية بعد سفرك، لكن منذ عام علمت أنها قدمت استقالتها، لم أرها بعد ذلك.

(١٣)

تلبدت السماء بالغيوم وكأنها تنذر باقتراب عاصفة وشيكه تقتلع من الحياة أجمل ما فيها، وتبرز الأسوأ، كانت تلك نظرة محمود السوداوية إلى الأمور، عندما كان في طريقه إلى الأسكندرية للاطمئنان على والديه.

كان الطريق ينسحق وينسحب بسرعة من تحت عجلات السيارة، وهي تنهب الأرض نهباً، محدثة صريراً مزعجاً عند المنحنيات الكثيرة على الطريق الزراعي الذي ألف محمود السير عليه أثناء وجوده في مصر.

كانت سحب الحيرة تحجب شمس الحقيقة عن محمود، ما الذي حدث في مصر أثناء غيابه؟ لماذا تغيرت الناس وضاعت الأخلاق، لماذا تصرف بتلك الهمجية المفرطة مع تلك المرأة المسكينة التي عصرتها الحياة واضطرتها ظروفها لفعل ما فعلت؟ وماذا فعلت؟ لم ترتكب جرماً، وإنما تزوجت من رضيت أن يضعوا شيئاً منه في رحمها.

أثناء تناول الغداء كان يتأمل والده خلسة من حين إلى آخر، شعر باختلاف غير مفهوم، أخذ يحدث نفسه ربما لا أريد مواجهة الحقيقة، انفرد محمود بوالدته التي بادرته بالحديث: هل وجدت شيئاً؟

محمود: لا يوجد أي شيء تخافين منه، لكن عندي سؤال، عندما ذهب والدي إلى المستشفي، هل حاولتِ الاتصال به؟

- طبعاً.. ذهبت إلى نفس العيادة، لكن رأيت ممرضا آخر، أخبرني أن الدكتور أشرف سافر خارج البلاد، وسلم عيادته إلى دكتور آخر، سألت عن الدكتور وهبة، أخبرني الممرض أنه جديد، لا يعلم شيئاً عن الدكتور وهبة، حاولت مقابلة الدكتور المسؤول حتي أنني دفعت قيمة الكشف، لكنني لم أتوصل معه إلى أي معلومة تفيد في شيء، زارني بعد ذلك قريبي إيهاب، إنه صحفي في جريدة علمية، لم أستطع أن أخفي عنه ما حدث لوالدك، وعدني بالبحث لكنه لم يعد لي مرة أخرى حتي بعد عودة والدك
- أعرف إيهاب.. أعرف أيضاً الجريدة التي يعمل بها (علوم المستقبل)، ربما نحتاج إليه قريباً، هل ترك رقم تليفونه؟
- نعم .. سأحضره لك.

(١٤)

بعد رحلة من البحث والتقصي وسؤال البوابين، ومكاتب الأمن المتواجدين عند بوابات العمارات نجح محمود في الوصول إلى سكن منار.

كانت مواجهة عاصفة، بلا مقدمات دفع الباب في عنف، لم تحاول لومه، بل أشارت له بهدوء أن يدخل.

- تفضل
- ماذا حدث؟
- عن أي شيء تتحدث؟
- اختفاؤك، صمتك، قطيعتك، توقف زياراتك إلى والدتي؟
- انشغلت بأبحاثي.
- استقالتك من الجامعة.. و..، لا يهمني ولكن، سعدية أبو العينين، هل تعرفين هذا الاسم؟
- أهدأ يا محمود سوف نتحدث في كل شيء.

نظر إليها بعينين جاحظتين يملأهم الغضب والفضول، وذكريات جميلة عجز أن يمحوها من ذاكرته، حتى بعد الحقيقة القاسية التي عرفها من سعدية، بينما

كانت سمر تراقب المشهد بشغف.

- منار.. ماذا حدث لوالدي؟
- أرجع بذكرياتك قبل السفر.

عاد محمود بالذاكرة إلى الخلف وكأنه يستعيد مشاهد من فيلم سينمائي مسجل في خلايا مخه، بدأت فترة الدراسات العليا في كلية الزراعة بجامعة القاهرة، وفي أحد المحاضرات التمهيدية، كان تركيزه مع أحد الأساتذة المحاضرين في الجلسة العلمية (السمنار)، حين لمحها تستأذن في الدخول، عندما كان يعرض ملخصاً لرسالة الماجستير قائلاً:

- أفضل أن أستخدم هنا في مصر مصطلح زراعة الأنسجة بدلا من (الاستنساخ)، بهذه التقنية التي قد تبدو مستحدثة بالنسبة لنا، لكنها بدأت غالباً منذ الستينات من القرن الماضي، والتي تمكننا من إنتاج كميات كبيرة من شتلات النباتات داخل مساحة محدودة، كحجرة النوم مثلاً تكفي لإنتاج مئات النباتات من خلايا نباتية تكون متماثلة تماماً كالتوائم لبعضها ومطابقة للصنف النباتي، وأهمية هذه الشتلات أنها تكون خالية من الأمراض والفيروسات تماماً، قوية النمو، يزيد إنتاجها الاقتصادي عن النباتات الطبيعية، و تساعد على التحسين الوراثي لها...

منار التي أصبحت لغزاً محيراً، لم تكن أبدا طالبة علم وفقط، لم تتحدث كثيرا مع محمود عن والدها الإنجليزي، والذي كان في حقيقة الأمر من مؤسسي (المجموعة المساندة للحياة)، لم يكن في حديثها مع محمود عن تلك المجموعة سوى تلميحات لم تشأ أن تفصح عن علاقتها الوثيقة بها، ودورها في التقاط الحالات الحرجة التي تستطيع المجموعة أن تستفيد منها في مسارات البحوث العلمية المعقدة؛ مثل الاستنساخ و طفرة الهرمونات الكبرى وأثرها على النمو المتسارع للجنس البشري.

إنها على قناعة كاملة أن والدها وفريق العمل البحثي قد توصلوا إلى نتائج مدهشة من خلال حيوانات التجارب، لقد آن الآوان لاستكمال المسيرة العلمية على البشر، وبحكم دراستها في مصر قد تستطيع أن تبحث عن الحالات التي يمكن أن تكون عينات بشرية لتجارب جديدة، لم تكن حالة والد محمود هي الأولى من نوعها، قدمت أبحاثاً مبتكرةً تصدرت في عناوينها الربط بين الأمراض البشرية وأمراض النبات، وعلى رأس تلك الأوراق البحثية والتي مهدت لها ارتياد عيادات الأطباء، أو معاهد الأورام للتعرف على بعض الحالات، كان العنوان المتصدر لأبحاثها: هل هناك تشابه بين السرطان البشري والنباتي؟

استطاعت بذكاء شديد أن تحصل على رخصة رسمية من كلية الزراعة لإعداد مسوحا ميدانية لبعض المستشفيات، كانت ذريعة للوصول إلى حالات جراحية تعجز عن مواصلة العلاج الباهظ التكاليف، وتحويلهم إلى عيادة الدكتور أشرف، ومنها إلى (المجموعة المساندة للحياة بالساحل الشمالي).

شعارها دائما (العلم يا صديقي لا يعرف المستحيل، لا يعرف العواطف، لكي تحقق هدفاً نبيلاً لابد من وجود ضحايا، هؤلاء المرضي أنفسهم في حالة عجز، العلم هنا قاصر عن إنقاذهم، نحن نمنحهم حياة جديدة، سوف يتحدث عنا التاريخ بعد بضعة عقود، أنظر بفخر كبير لوالدي ولتلك المؤسسة، وكل من يعارض ذلك، فليذهب إلى الجحيم، غير مأسوف عليه) .

استمرت المناقشات، شاركت منار فيها، جذبني جمالها وشعرها الأصفر، وعيناها الزرقاوتين، والأهم من ذلك حديثها معي الذي قادنا إلى منحى آخر بجانب موضوع الرسالة، قالت أنه لابد أن يكون لدينا الجرأة لنسمي الأمور العلمية بمسمياتها الطبيعية، زراعة أنسجة النبات في المعامل هو نوع من الاستنساخ، حقاً في الطبيعة يستمد النبات غذائه من التربة وضوء الشمس، أما في المعمل فإن زراعة الأنسجة تنجح من خلال بيئات

بالغة الدقة، وتحت ظروف تعقيم خاصة جداً.

بعد انتهاء (السمنار) وقفنا في حديث خاص.

- منار سامي، والدتي مصرية ووالدي إنجليزي، يعني ثقافة أنجلو مصرية، هناك تطور في تحسين المحاصيل النباتية والحيوانية من حيث جودة المنتج وسرعة الإنتاج من خلال علم الاستنساخ، تقريبا نفس التقنيات يمكن تطبيقها على البشر، هل توافق أن تطبق أبحاثك التي سوف تجريها على النباتات على البشر أيضاً؟
- قد يكون ذلك مقبولا في حالة الاستنساخ العلاجي، يعني في الحالات الميئوس منها عند البشر، لكن ربما يكون ذلك مرفوضاً هنا على المستوي الاجتماعي.

تحولت الزمالة إلى صداقة، تقارب وحب ثم مشروع زواج تعطل لضرورة سفره إلى إنجلترا لاستكمال دراساته عن زراعة الأنسجة النباتية ...

أفاق محمود من ذكرياته السريعة، طلبت منه منار أن يجلس: محمود سوف أروي لك كل شيء بمنتهي الصراحة.

- عرفت أن والدك يعاني من أورام خبيثة في الغدة الدرقية وحالته كانت غير قابلة للعلاج، بالتأكيد سمعت عن مؤسسة(المجموعة المساندة للحياة)، إنها مؤسسة كبرى لديها فروع في جميع أنحاء العالم تقريباً،

وموجودة هنا في مصر، زراعة الأنسجة أو الاستنساخ أحد أهم ايحاثها وتجاربها، كنت أساعد على استمرار حياة والدك بطريقة أخرى.

محمود مقاطعاً: ماذا حدث لوالدي قبل زرع خليته في رحم سعدية؟

- توفي والدك بعد ثلاثة شهور، رغم المحاولات التي تمت لعلاجه، لكن ... لا أرى أن تذهب إلى هناك الآن، أنت تعرف أن هذه التجارب في العالم تترك الباب موارباً بين المنع والإباحة، لا تجرؤ أي دولة أن تعلن موافقتها الصريحة على الاستنساخ البشري.
- لماذا انقطعت رسائلك و توقفت مكالماتك الهاتفية؟
- لأنني أدركت أنك لن تتغير.
- كيف؟
- كنت معجبة بطموحك العلمي الكبير، وذكائك الفطري المبدع.
- وماذا تغير؟
- علمت أنك غيرت موضوع الدكتوراة من الاستنساخ البشري إلى زراعة الأنسجة في الزراعة، تأكدت حينها أن أفكارك القديمة وثقافتك العتيقة، لن تجعلك تستكمل أبحاث الاستنساخ إلى حدها الأقصى، ستقف خجولاً في وسط الطريق بين ثقافتك وبين أبحاثك.
- ولماذا لم تتحدثي معي لتعرفي رأيي؟

- أعرفك عنادك جيداً، ومن الغباء أن أوهم نفسي بأنك ستتغير، قررت الفراق بلطف ودون جرح لمشاعرك.
- أشكرك على تلك تلك المشاعر الطيبة، بالمناسبة قرأت لك ورقة على مواقع البحث العلمي عن فكرة تصنيع مكونات إلكترونية من خلايا بشرية.
- ما رأيك فيه؟
- بحث جاد طموح لا يقدم عليه سوى عقل لا يعرف حدوده.
- وهل للعقل حدود؟
- نعم .. حينما يريد الإنسان أن يقوم بدور الإله ... تلك نهايته ولو كانت عن طريق العلم.
- خلق الله الحياة في الخلية، وأنا أحاول أن أستفيد من تلك الحياة، في خلق نظم إلكترونية متطورة.
- كيف؟
- الخلية الحية توفر جهداً كهربائياً، فلو وضعنا ألف خلية لا يزيد حجمها عن مليمتر واحد، سيتوفر لدوائري الكهربية البيولوجية مصدراً للقدرة لا نظير له.

- وكيف ستوفرين النبضات الرقمية؟
- أُقَطع ذلك الجهد بواسطة إنزيمات خاصة فتتوافر النبضات الرقمية.
- ولماذا كل هذا؟
- مصمموا الحاسبات يعرفون جيداً أنهم لن يمكنهم تصنيع آلة لها مواصفات الدماغ البشرى، إلا إذا تمكنوا من صنع مكونات الكمبيوتر المادية من الجزيئات البيولوجية وبالتحديد البروتينات، حينها سيصبح حجم الحاسب أصغر بكثير مما هو عليه الآن وأقوى وأسرع وأدق من أى آلة الكترونية.
- ما الهدف النهائي من البحث؟
- تطوير روبوت حي، تعتمد مكوناته على أنصاف الموصلات المصنعة من الجزئيات البيولوجية، كفاءته عالية، يقوم بعمليات معالجة لعدد ضخم من المعلومات، والتصرف على هديها، يعيش ويتنفس ويتحرك في شكل إنسان، مزود بكل ما يرفع من قدرته في الحساب واتخاذ القرارات الحرجة بالطريقة الصحيحة وبمنتهى الدقة.
- يا إلهي ... على أي شكل؟
- إنسان.
- إنسان؟

- نعم.
- كيف؟
- أغلبية الجينات الوراثية الموجودة في الجينوم البشري، غير معروف وظائفها حتى الآن، حيث تشكل الجينات المعروفة نحو نسبة صغيرة جداً منها فقط، والأغلبية ليست لها وظيفة وكانت تسمى بالإنجليزية Trash بمعنى نفايات، وضعنا بدلاً من بعضها جينات لتكوين الأحماض الأمينية المطلوبة لصنع المكونات الالكترونية.
- تلعبون بالحياة وبمقدراتها، تمسخون المخلوقات وكأنكم تخلقون الوحش (فرانكشتاين) من جديد.
- وما الضير في ذلك؟ العلم لا يعرف الحدود، أنه ينسف الأبواب والأسوار، ولكنكم تغلقون على أنفسكم نوافذ الإبداع بسبب سوء الفهم.
- الجدال معك لن ينتهي، ولن نصل إلى نتيجة .. المهم الآن.. أين أبي؟ أين جثة والدي يا منار؟ أين مقر المؤسسة؟ قالت سعدية أنها في الساحل الشمالي، أود معرفة مكان والدي.
- نعم في الساحل الشمالي.
- أين المكان في الساحل الشمالي؟

- انتظر مدة حتى أرتب لك لقاءً معهم.
- سأذهب الآن .. أين المكان؟
- محمود ..... ليس الآن.

(١٥)

حينما يكشف النقاب عن الوجه القبيح لمن تحب، تزدري عيناك كل ذكرى جميلة مرت على العاشق المخدوع، وتنحت نقطة حزن عميقة في عقله الباطن، رغم ذلك يتبقى خيط رفيع من الشجن يربطه بها، كأن قوى مجهولة تقيده إلى تلك الذكرى لكي لا تنفك عيناه عنها، رغم محاولته المستميتة للهروب من أسر عينيها وجمال شفتيها وحمرة وجنتيها..

خرج محمود كالمجنون بعد اتصاله بسمر لمرافقته في البحث عن مقر المؤسسة، يعلم جيداً أنها تعرف عن ظهر قلب منطقة الساحل الشمالي، حكت له الكثير عن أسرتها، والدها رجل الأعمال الذي وضع الكثير من ثروته في الاستثمار العقاري، وشراء الكثير من الأراضي في منطقة الساحل وقت أن كانت منطقة بكراً، وقبل أن تعج بتلك القرى الساحلية الكثيفة، تزوج من قريبته الدكتورة إجلال والدة سمر بعد ضغط من العائلة لإتمام تلك الزيجة رغم اختلاف نظرة كل منهما في الحياة، طموح الدكتورة إجلال في استكمال دراستها في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعنت الزوج الثري واقتناعه بعدم ضرورة سفر زوجته والاكتفاء بالدراسة في مصر، بعد إنجاب

سمر نشبت الخلافات بينهم وأسفرت عن الانفصال، تمسك الأب ببقاء ابنته في مصر.

سافرت إجلال بعد حصولها على منحة دراسية، لاستكمال أبحاثها مع نخبة من العلماء في مجال الفيزياء، لم تشأ سمر أن تغضب والدها، خاصة أنه كتب لها كل ثروته، فيلا بالقرب من منطقة العجمي، وأراضي زراعية في جنوب الصعيد لتصدير الرمان المصري.

وعدته بالبقاء في مصر، أكملت تعليمها الجامعي في كلية الزراعة جامعة القاهرة، تعرفت على زميلها محمود، حاولت التقرب منه رغم معرفتها بشغفه وقربه الواضح بمنار ذات العيون الزرقاء، استكملت سمر دراستها العليا، لم تغادر مصر حتى بعد وفاة والدها بمرض القلب، لأنه لم يتحمل ضغوط العمل، والسفر المتكرر بين القاهرة والصعيد.

أتت الدكتورة إجلال بعد مقاطعة طويلة مع العائلة، مكثت معظم إقامتها بالفيلا في الأسكندرية، جاءت ومعها كافة الأجهزة الإلكترونية التي تتيح لها التواصل المستمر مع مركز الأبحاث الذي تعمل معه في الخارج، تحدثت كثيرا مع سمر بشأن السفر والإقامة معها في الخارج، مغريات البحث العلمي والمتقدم للغاية في المعامل الأمريكية، مفاجآت علمية قادمة سوف تحدث طفرات في مجالات عالم الفضاء والفيزياء والزراعة الآلية،

اطلعتها على أسرار علمية لم يتم الكشف عنها بعد، كل ذلك محاولة من الأم لتحفيز سمر للانتقال معها إلى هناك، سافرت على وعد من سمر بالزيارة فقط نظراً لارتباطها بمتابعة شركات والدها في مصر.

تعرف سمر منذ طفولتها تلك المنطقة، لها بعض المعارف والاصدقاء الذين يترددون عليها خاصة في فصل الصيف، نجحت في جمع معلومات مهمة عن وجود ما يشبه القصر قرب منطقة (سيدي عبد الرحمن) الذي يبعد بضعة كيلومترات عن أحد القري السياحية التي ورثتها عن أبيها.

التقت محمود وتوجها ليلاً في اتجاه المبنى المزعوم الذي علقت عليه يافطة (المركز الرئيسي– المجموعة المساندة للحياة)، لكن كيف يمكن أن يقتحما ذلك المكان، لابد من وضع خطة، بعد إلحاح من سمر بضرورة التمهل ودراسة المكان بعناية جلسا في مكان هاديء.

محمود: لا أنوي العراك ولا المشاجرة، فقط أريد أن أفهم ماذا حدث لوالدي؟ فلنجرب أن نذهب إلى هناك، ونطلب مقابلة أحدهم، لكنهم قد يمانعون.

سمر: وارد جداً أن يرحبوا بمقابلتك، لكن هناك احتمال آخر بالرفض، على الأقل لن يتم الكشف عن الأبحاث التي تجري هناك، عرفت

من بعض الأصدقاء أنهم يدعون أنها مصحة للعلاج النفسي، لابد أن ندخل دون علمهم أولاً، لا يهم ما يحدث بعد ذلك.

- معي أدوات حديثة مزودة بأشعة الليزر للتغلب على الأبواب المغلقة بلا ضوضاء.
- هذا رائع .. معي أيضاً مسدسات دقيقة يمكن تعبئتها برذاذ من مساحيق لتخدير الحيوانات، كنت استخدمها للتغلب على الفئران التي قد تتواجد هنا أو التي تختبيء في زراعات أبي قبل التخلص منها.
- لكن ماذا عن احتمال كبير لوجود كاميرات مراقبة؟ كيف نختفي عن الأعين؟
- الاختفاء ... الاختفاء ...

تذكرت سمر شيء خطير ...

- أعدك أن نجد حلاً، بشرط أن تثق في قدراتي على حل المشكلات، فلنؤجل كل شيء إلى الغد ...

تذكرت سمر الدولاب المغلق في الفيلا، والذي احتفظت فيه الدكتورة إجلال بعدد من الاسطوانات المدمجة والملفات الورقية، وشيء آخر هام جداً، معاطف الإخفاء، أخبرتها أمها أن العلماء توصلوا إلى اختراع تلك الأثواب بكميات قليلة و على نطاق محدود، لأنها يمكن أن تتسبب في جرائم

كارثية لو انتشرت، لكنه العلم الذي لا يتوقف أبداً، مثل قطار سريع انطلق على طريقه بلا سائق، لا يخرج عن القضبان و لا يتوقف، ليس على سبيل الإبهار العلمي فحسب بل للسيطرة على مقدرات العالم بشكل جنوني، لكن هل مازالت في درفة الأسرار المغلقة!

اتجهت مسرعة إلى الفيلا، هرولت إلى غرفة النوم، درفة واحدة مغلقة بإحكام، بحثت عن أدوات الحدادة، لابد من كسر تلك الدرفة بأي طريقة، لقد وعدت محمود أن تحل المشكلة ... نجحت في العثور على فأس في حديقة الفيلا، انهالت بكل قوتها، انفرجت أسارير وجهها بعد انهيار العرق الغزيز على وجهها، تهشمت الدرفة، حدقت بعينيها على الرفوف، إنها هنا، نفس الحقيبة السوداء التي رأتها أول مره مع الدكتورة إجلال وبداخلها تلك الأداة السحرية الرائعة، وقفت تشعر بالفخر من نفسها، الآن أمتلك أكثر من طاقية الاخفاء.

توجه محمود وسمر ليلاً إلى مقر المؤسسة مسلحين بكل ما يعينهم على الدخول بسهولة، سارا بحذر، عندما اقتربا من المبني ارتديا معاطف الإخفاء، دخلا إلى حديقة المبني متحفزين لمواجهة المفاجآت، سمعا نباح يأتي على بعد أمتار، إنهما كلبان مربوطين على جانبي الممر، إنها رائحة البشر المثيرة لهما، أسرعت سمر بتوجيه الرذاذ المخدر إليهما قبل أن يعلو صوتهما.

توجها نحو المبنى في سرعة، وجدا بهواً طويلاً ضيقاً، انتقل بهم إلى بهو آخر أكثر اتساعاً، سلالم يصل عددها إلى عشر درجات، ثم أخرى جانبية عددها خمس درجات، تفرع البهو بعد ذلك إلى اتجاهين للسير يمينا ويساراً.

همس محمود: سأتوجه إلى اليمين وأقوم بتصوير كل شيء.

أجابت سمر: وأنا سأسير في الاتجاه المقابل، معي اللاسلكي الدقيق، ركز معي توقع أن أهمس لك في حالة حدوث أي شيء.

ثبت كل منهما لاسلكي الاتصال الدقيق خلف الأذن، صغير الحجم بحيث لا يمكن رؤيته بسهولة.

نجحا في تجاوز الباب الأول، وجدا ممرا طويلاً ضيقاً يتسع لمرور شخصان نحيلان بجانب بعضهما البعض بصعوبة، كادا أن يلتصقا فتقدم محمود خطوة ومضت خلفه.

توجه محمود جهة اليمين، فتح الباب الأول من خلال جهازه الدقيق المزود بأشعة الليزر، دقق النظر هنا وهناك، وجد فقاعات زجاجية شفافة يبدو أنها مزودة بألياف صناعية دقيقة الصنع، أمعن النظر، تعرف على وجود أرحامٍ صناعية موصلة بأجهزة ومضخات، داخلها أجنة في طور التكوين.

فقاعات أخري أكثر دقة في تصميمها من الحضانات المعروفة في المستشفيات ببعضها أطفال حديثي الولادة، موصلة على أجهزة الكترونية معقدة، أغلق

الغرفة في هدوء وقد تذكر أحد المحاضرات التي حضرها أثناء دراسة الدكتوراة، حيث كان البروفيسير يتحدث باستخدام الفيديو عن الأرحام الاصطناعية، و نجاح العلماء في ابتكار رحم لاحتضان جنين خروف، ويأملون في تطبيق تلك التجربة على البشر لاحقاً، أعطى هذا الإنجاز آمالاً كبيرة في استخدام هذا الكيس من البلاستيك المليء بالسوائل في مساعدة الأطفال المبتسرين على تطوير أعضائهم واستكمال نموها.

تذكر محمود تلك المحاضرة، لكن مشاهدته الأرحام الاصطناعيةً في هذا المكان بشكل كبير يوحي بأمور خطيرة، فتح غرفة أخرى بنفس الطريقة، وجد جناحاً مكتوب على بابه معمل استخدام الهرمونات فائقة السرعة، كان المنظر بالداخل مفزعاً.

توقع أن هذا المعمل يمكن أن يستخدم في إحداث طفرة من النمو السريع المتدرج للبشر، ويتجنب أي تشوهات خلقية، يعرف تماماً ماذا يعني ذلك، فقد درس أثر الهرمونات على النبات في زيادة حجم وإنتاجية المحاصيل الزراعية، بل أثر الهرمونات المصنعة على النمو السريع في فترة زمنية قياسية، وتوالت العجائب التي لا تنهي في هذا المبنى الغريب والعجيب.

وجد محمود رجالا ممددين على أسرة كبيرة داخل الفقاعات الشفافة، موصلين من الأطراف والرأس بمحاليل وأجهزة الكترونية معقدة، في تلك اللحظة، اهتز الجهاز المعلق خلف أذنه، سمع همس سمر: محمود احضر حالاً.

توقع أن لديها شيئاً مثيراً، توجه إلى الغرفة الذي ذهبت إليها، استقبلته سمر وعلى وجهها تعبير من اكتشف شيئا خطيراً، قادته إلى الداخل، وأشارت على أحد الجوانب، رأى مجموعة من الأجسام المحنطة، ملامحها واضحة يبدو أنها حديثة التحنيط، مرا على فقاعات الحفظ الزجاجية، دقق محمود النظر، جال شيء مخيف في خاطره ... بدأ العد .. الأول ... لا ليس هو ... الثاني ... لا، حتي وصل إلى الرقم الثالث عشر ... اتسعت عيناه، اضطرب قلبه حتى كاد أن تُسْمع دقاته، فغر فاه ... صدرت عنه صرخة مدوية: أبي ....

وضعت سمر يدها على فمه بسرعة، تحسباً لصرخات أخرى في هذا السكون المروع، أحست بعرقه الغزير، فساعدته على خلع سترة الإخفاء بسرعة، دستها في حقيبة يدها، سمعا حالة من الهرج والمرج، أصوات غاضبة تندفع من سلم الطابق الأعلى، حاول ارتداء سترة الاخفاء بسرعة، لكنه تأكد أنهم سيدركونه، فألقاها وصرخ في تحد:

- أنا الدكتور محمود سمير، والدي عندكم، أبحث عن جثته، أريد مقابلة المسؤولين هنا.

تقدم نحوه الدكتور أشرف حمدي ومعه اثنان من الأطباء.

- كيف حدث هذا الاختراق؟ هذه تصرفات لصوص! من أذن لك أن تدخل في تلك الساعة من الليل ! من الذي معك!

سرعان ما تمالك الدكتور أشرف أعصابه فتقدم قائلاً: تفضل، أرجو أن تهدأ، أبلغتنا منار بما حدث، كنا في انتظارك ولكن ليس بهذه الكيفية، تفضل ...

(١٦)

جلس الجميع للتحدث، اللقاء كان على صفيح ساخن، قدم الساعي أكواباً من الليمون المثلج، واختفى فوراً، وقفت سمر الغير مرئية خلف الباب، بدأ الدكتور أشرف حديثه محاولاً ضبط النفس، وكان يضغط على الحروف وهو ينطقها، كأنما يريد تأكيدها.

نحن في مركز طبي على أعلي درجة من التخصص العلمي، أحد فروع مؤسسة ضخمة (المجموعة المساندة للحياة)، نحن لسنا عصابة لسرقة أعضاء البشر، نحن مركز مرخص مثل أكثر من خمسين مستشفى لزراعة ونقل الأعضاء في مصر.

- ومن أين تحصلون على الأعضاء؟ من المتوفين؟

- لا بل نأخذها من المتبرعين.

- عمليات التبرع التي تتحدث عنها ما هي إلا غطاء لعمليات بيع منظمة من المستشفيات تستغلون فيها فقر البشر، تستهدفون البسطاء وتراودون عقولهم وأجسادهم بالمال، حيث يجد السماسرة من تجارة الأعضاء البشرية بيئة خصبة لتكوين ثروات سريعة، يتفق السمسار مع البائع على شراء الكلى بثمن لا

يتعدى مئات الآلاف، وتصل لجسد المشترى الثرى الغنى بمبالغ طائلة تتخطى الملايين، والفارق يذهب للسمسار وما يعاونه من أطباء وأصحاب معامل تحاليل.

- لسنا مؤسسة تجارية كما تظن، البحث العلمي يأتي في مقدمة عملنا، لدينا مشاريع بحثية مدهشة سوف نكشف عنها في الوقت المناسب.

- الحصول على الأعضاء البشرية لا يتم بصورة مباشرة، دائماً يسبقه خطط شيطانية من السماسرة، خيث تبدأ اللقاءات السرية لتجهيز البائع، بالإقامة في شقة مفروشة والتردد على معامل التحاليل لحين إجراء العملية وقطع جزء من جسده.

- العملية الطبية لتجهيز عمليات نقل الأعضاء معقدة جداً من الناحية الطبية والتقنيةً، ولا يمكن لأي مستشفيات أو عيادات خاصة القيام بها إلا إذا كانت مجهزة بأجهزة ومعدات، وأنت أستاذ جامعي كبير وتدرك معنى ما أقول، الصحافة هي التي نشرت الأمر بصورة مغلوطة، وروعت المواطنين وأوهمتهم بأن الأطباء يختطفون الناس ويسرقون أعضاءهم.

- بالنسبة لوالدك لدينا إقرار بموافقته على ما حدث، بل وقبض ثمن التجربة قبل أن تبدأ، تسلم شيكاً بمبلغ مليوني جنيه للقبول بإجراء

التجربة، لم نفعل سوى ما اتفقنا عليه.

- عرفت ذلك بالصدفة.
- كان والدك يقترب من الموت بسرعة، لم يكن أمامه سوي ثلاثة أشهر على أكثر تقدير.
- إذاً استنسختم والدي وأرسلتم إلينا النسخة بعد موت الأصل، ونجحتم بالهرمونات في تنمية الجسد في وقت قصير نسبياً، لكن أخبرني بالله عليك، ماذا فعلتم في خلايا المخ الخالية؟
- ليس هذا وقت الحديث عن العلم يا دكتور.
- آخر سؤال؟
- حسناً .. المخ البشري يعمل كوسيط تخزين كالقرص الصلب أو الفلاشة على سبيل المثال، يحفظ ذكريات الفرد الثمينة، ويمنحنه قدرة معرفية وافرة، ببساطة استطعنا تسجيل المعلومات بطريقة جديدة ومن ثم تخزينها في مخ المستنسخ على فترات محسوبة بدقة.

بعد أن هدأ محمود وتمالك أعصابه، أصبح مقتنعاً إلى حد كبير بأن حالة والده كانت مصيرها الموت القريب، خاصة أنه عرض كل التحاليل والفحوص الطبية على المراكز الطبية المتخصصة في لندن، لكن من الواضح أن هناك الكثير من الأسرار ما زالت في جعبة هذه المؤسسة، هناك لغز محير يحتاج إلى

تفسير، استطرد قائلاً، حتى يخرج المزيد من جعبة الدكتور أشرف:

- المخ ليس مجرد وسيط تخزين، إنه يعمل أسرع من أسرع حاسوب في العالم، ويتكون من عدد هائل من الخلايا العصبية، يبلغ عددها مليارات من الخلايا، و تتفرع منه تفرعات شجيرية ترتبط من خلالها فيما بينها، مكونة وصلات عصبية مع الخلايا الأخرى، وتنتقل عبره النبضات العصبية، التي تستقبل وترسل بواسطتها المعلومات والأوامر على هيئة إشارات كهربائية وكيميائية.
- وعدتنا أنه سيكون آخر سؤال.
- لا بأس اكمل من فضلك، فضول علمي ليس في وقته.
- هذا صحيح، كل ما فعلناه هو نقل مخزن الذاكرة الدائمة، فالمخزن المؤقت قد لا تسعه مئات الفلاشات أو الأقراص المدمجة، فكل خلية عصبية تقوم بمتوسط عشرة آلاف اتصال مع خلايا عصبية أخرى، ويمكن أن تتجاوز سرعة الرسائل، التي تبعثها الخلايا العصبية، في الأجزاء المختلفة من الجسم إلى الدماغ ١٥٠ ميلاً في الساعة، وتبلغ عدد الرسائل المرسلة إليها أكبر من عدد رسائل جميع هواتف العالم!، ولا يتبقى من كل ذلك إلا المعلومات الأساسية الدائمة وتنمحي كل الذكريات المؤقتة.

- د. أشرف إن والدي الحقيقي هنا الآن، أود دفنه، إذا أردت ألا أفضح أعمال هذه المؤسسة(السرية) لابد أن استلم جثة والدي.
- لك ذلك وسنخرج لك تصريح الدفن وشهادة الوفاة، ولكن لا نريد شوشرة على أعمالنا، السيارة ستكون جاهزة لنقلكم إلى أي مكان.

لا تنسى أننا مؤسسة علمية رسمية تنفذ أبحاثاً طبية متقدمة مشروعة، ربما لم نحصل على ترخيص بعض أنشطتها بعد، ولكننا نفعل ذلك بمنتهى الحرفية وباتباع منظومة البحث العلمي، في النهاية أنقذنا والدك من الموت.

- والدي، الشخص الذي يعيش هناك والدي؟!
- أليست له البصمة الوراثية نفسها؟ أليس له الذاكرة نفسها؟ لقد تعاملتم معه وتعامل معكم أليس كذلك؟
- الجسم المادي يشبهه، لكنه ليس أبي، لابد من مواجهته بالأمر.
- وماذا تستفيد من إخباره وتحطيم شخصيته، إنه في عمر والدك بالفعل، فالمنسوخ يأخذ عمر الخلية التي بدأت بها النطفة كما تعلم، وسيموت بعد سنوات قليلة.

- هيا بنا لكي نجهز والدي الحقيقي للدفن فلقد سرقنا الوقت والفجر

على وشك، لابد من العودة إلى والدتي على وجه السرعة، لكن أحذرك أن تغلق الباب في وجهي في أي وقت أحتاج فيه للحضور هنا.

- اتفقنا ...

على الرغم من وجود الكثير من الخبايا في استنساخ (سمير فليفل)، اكتفي الدكتور أشرف بهذا القدر من المصارحة، من الصعب أن يخبره أن هناك نسخاً أخرى من والده سمير كاملة الذاكرة، نعم أنها مجرد نسخ، كالمسخ الذي يعيش معهم في البيت، لا يعرف سوى أنه (سمير) نفسه والد محمود، تجربة جديدة من نوعها بالمؤسسة، ربما غير مسبوقة في العالم سوف تكشف الفترة القادمة عن مدي نجاحها أو فشلها.

(١٧)

كان الليل يغرق المساحة الخالية من الصور المرئية، ويستجمع قواته لمقاومة نور الفجر القادم، كانت المباني لا تظهر سوى كأشباح كائنات مخفية، ترى فقط ككتل سوداء عند الاقتراب منها.

فوجئ محمود أثناء إعداد والده للدفن، بفتحة علوية في جمجمته الفارغة، ربما سرقوا مخه لإجراء بعض الفحوص عليه، أو ربما يحاولون الحصول على ما بذاكرته من معلومات قيمة، لا وقت للصراخ، قضي الأمر.

في طريق العودة، بعد انتهاء مراسم دفن والده في الظلام، سادت حالة من الصمت المشحون، أصبح محمود كتلة من الغضب المحبوس في عقله من هول المفاجأة، نسمات الهواء الباردة تخفف قليلا من سخونة وجدانه وانفعالاته المكبوتة، لكنها تنشط ذاكرته.

تسارعت أفكاره، لو نجحت هذه التجربة مرة، ستؤدي إلى تغيير شكل العالم، سينطلق سباق الاستنساخ دون مهلة، من النعجة إلى الإنسان، هذا الانتقال أصبح ممكنا بالصناعة الحيوية التي قد تحدث صدمة للعقل البشري، التقنيات المتسارعة أصبحت قادرة على تغيير نموذج التناسل للكائنات، ومن هنا فإن

مسألة الاستنساخ البشري ستصبح سلسلة طويلة ومتطورة على نحو سريع لخلق أنواع من المخلوقات المعدلة وراثياً، تسجل شهادة وجود مختلف للكائن الحي.

إن أهم فاعل في البحث العلمي هو التجريب، والبشرية لا تكف عن التجريب بعين ساهرة دؤوبة ومتحدية، ومثابرة لقلب موازين الحياة البشرية من صورتها الطبيعية إلى تشكيلها داخل المعامل والمستشفيات بشكل مختلف.

لحقت به سمر، وعندما اقتربت خلعت رداء الإخفاء، وركبت السيارة بجانبه، تعيش في حالة حلم أو كابوس لم ينته بعد، لم ينطق أحدهما بحرف واحد، كلا منهما يسترجع في ذاكرته ما حدث منذ سويعات قليلة، فجأة انهار محمود وبكى بكاءاً مريراً، أخذته سمر في أحضانهاً، كان يصرخ كأنما يرسل لعناته على هذا العالم الظالم.

- كيف سأواجه أمي الآن؟ كيف أفسر لها ما حدث؟ هل يمكن أن تفهم؟ نعم لقد تعلمت الكثير، لكن الفرق كبير بين التعلم والتقبل، ربما تقبل أن يحدث لأحد غيرك أي نوع من الكوارث أو التجارب العلمية، نعم تتقبلها طالما أنها مجرد حكاية طريفة تروى لك وأنت لست طرفا فيها، ولكن أن تحدث مع أهل بيتك، مستحيل أن تتحمل الحقيقة.

وكانت فرصتها التي انتهزتها للاعتراف بما تكنه له.

- محمود لقد أحببتك من أيام الدراسات العليا في الجامعة، لكن التقارب بينك وبين منار أبعدني عنك مسافات كبيرة، أنت الآن في محنة، نعم في محنة كبيرة، وأنت مقبل على بداية حياتك الأكاديمية بعد العودة، تأكد أنني لن أتخلى عنك أبداً ...

طبع محمود قبلة على جبينها، بعدها انطلقت بالسيارة بسرعة لتعبر عن فرحتها بإزاحة ثقل كبير كان يرزح تحته قلبها، لقد اعترفت له بما كان يعتمل في نفسها منذ فترة طويلة، لم تكن تستطيع البوح به إلا الآن..

(١٨)

عاد محمود إلى الأسكندرية بشخصية جديدة، يمتزج فيها الكثير من الحزن والكآبة بقليل من السعادة التي أحسها في أحضان سمر، في المنزل وجد الأمور على خير ما يرام، استقبله والداه بالقبلات والفرحة، جلس معهما لتناول طعام الغداء، ابتسمت زينب وقد بدت على وجهها علامات الارتياح، همست لمحمود أثناء مساعدتها في رفع المائدة، بأن والده بصحة جيدة، عاد إلى طبيعته الأولى، ربما كان في حاجة إلى تغيير الجو ليس إلا، كنت مخطئة.. أنه بالفعل تغير.

ظلت تتحدث وهو يحاول أن يشيح بوجهه عنها في اتجاه آخر حتى لا ترى علامات الدهشة والاستغراب، تعجب من هذا الحديث الذي يسمعه من والدته، هي التي تطمئنه، أهي حقاً تطمئنه عن قناعة، أم أنها لا تريد أن تعترف لنفسها أن هناك شيء غامض في هذا الرجل الذي يعيش معها، لكنها ماذا تفعل بعد غياب دام ثلاثة سنوات؟ هل تجرؤ أن تعترف بشيء ما؟

تحدثا معاً في كثير من الذكريات، ظلت والدته تثرثر بصوت يملأه الثقة والتفاؤل، تذكر محمود حواره مع الدكتور أشرف عن نقل الذاكرة، بل ونقل

المخزون العاطفي من المجسات الحساسة تحت منطقة الثلاموس فيما وراء الجمجمة.

- نعم يا أمي الحمد لله، سوف نعود غداً إلى القاهرة ...

مسؤوليات وأعباء كبيرة تقع على عاتق محمود ما بين التحضير لإنهاء إجراءات انتقاله إلى جامعة الأسكندرية، وبين حال والده الذي يبدو في حالة عادية مطمئنة، أيام قليلة وعاد محمود مرة أخري إلى الأسكندرية تاركاً خلفه أمه مع (سمير الآخر)، لم يمر يوم دون اتصال، وجدها تتحدث بشكل طبيعي، لا تشكو، تنقل إلى ولدها نبرات الطمأنينة والمرح.

حان موعد الالتزام والدراسة ومتابعة الأبحاث العلمية في مجال الهندسة الوراثية في كلية الزراعة، يحتاج الأمر إلى التركيز وإعداد المحاضرات الأكاديمية، يخفف عنه الإطمئنان الهاتفي على والدته وأحوال (سمير)، وحب سمر يغلف حياته بالتفاؤل والحبور.

حدث ما لم يكن في الحسبان، تعرض محمود لحادث سير تسبب في كسور بالقدم والكاحل، انتقل على إثره إلى مستشفي الحضرة الجامعي للعظام، نصحه الأطباء بالراحة التامة لبضعة أيام بالمستشفي حتي يتجنب حدوث مضاعفات مؤلمة عند تحريك العظام المصابة، لم تتركه سمر حتى خرج من المستشفى وأوصلته إلى مسكنه، وداومت على مداواته وإطعامه حتى أوشك

على الشفاء، وبدأ في السير على (عكاز).

لم يجرؤ محمود على البوح بهذا الحادث لوالدته، تحدث معها وأكد انشغاله الشديد الذي قد يعطله حتى عن الاتصال التليفوني أو الحضور إلى القاهرة في القريب العاجل كما وعدها.

(١٩)

من خلال الحديث مع الجيران عن حالة الفراغ التي يعيشها (سمير) بدون عمل، نجحت زينب في إيجاد فرصة عمل له بأحد المكتبات في الحي القريب منهم، سعدت أنه قد بدأ يخرج من حالة السرحان وقلة التركيز التي تداهمه أحياناً، كان يعود بشوشاً من عمله.

حاول تصفح بعض الكتب المتراصة على جانب من رفوف المكتبة، أمسك قلما لينقل بعض سطورها بعفوية في وريقات قليلة، تعجب صاحب المكتبة من هذا الفعل، لكنه رآه لا يضر على أي حال.

أقبلت عليه الحياة، فأقبل على تناول الطعام بشراهة غير معهودة، يعود إلى مكتبه بغرفة النوم يدون بعض الأفكار التي قد تراوده قبل النوم.

لم يعد يهتم بصندوق الأسرار فوق المكتب، عندما تسأله كيف قضي يومه، تكون إجابته المعتادة: الحمد لله، كله تمام، لقد ساعدني فليفل في ترتيب المكتبة.

- فليفل!
- مساعدي في المكتبة.

كانت متأكدة من عدم وجود أحد في المكتبة يمكن أن يساعده، فلا يوجد بها سوى صاحبها وهو، لكنها أحجمت عن الاسترسال في التساؤل حتى لا تثير قلقه.

(٢٠)

قرر إيهاب أن يزور قريبته زينب في القاهرة ليرى محمود ويطمئن على (سمير)، إنه النموذج الأول في سلسلة صناعة(سمير)، سيأتي يوم يستطيع فيه أن يكتب مجلداً عن تلك التجربة العلمية التي نجح في جمع الكثير من خيوطها.

بعد الترحيب به، دلفت إلى المطبخ لاعداد مشروباً للضيف، اقترب منه سمير ومد يده لمصافحته، كانت مفاجأة غريبة لاحظها إيهاب على الفور ...

زينب: سمير.. هل تتذكر ايهاب قريبي، إنه الآن صحفي كبير يشار إليه بالبنان.

- أهلاً إيهاب
- كيف حالك أستاذ سمير
- بخير، أعمل في مكتبة ويساعدني فليفل، مكتبة كبيرة وثرية جداً.
- كيف حال الدكتور محمود؟

- بخير، تسلم عمله في الأسكندرية، مشغول جداً حتى نكاد لا نراه سوى في المناسبات أو العطل فقط.

تأكدت ملاحظة إيهاب عندما تناول سمير كوب العصير، هناك قصر ملحوظ في ذراعه الأيمن، هل يسأل قريبته أم يؤجل ؟ ... قرر أن يلغي ملاحظته ولو مؤقتا ...

استأذن منهما، فلديه سفر عاجل إلى مدينة الأقصر ليكون حاضراً عن جريدة (علوم المستقبل) في مؤتمر غاية في الأهمية بعنوان "الاستنساخ البشري في العصر الفرعوني"، ودوره نقل وقائع المؤتمر وتغطية الموضوعات العلمية المثارة وتبسيطها إلى قرائه في الجريدة.

وزاد من الاهتمام المركز على المؤتمر الاعلان عن اكتشاف مقبرة فرعونية بها أوعية من الفخار فيها بقايا الأعضاء الداخلية للميت المحنط، والأغرب وجود أوعية أخرى معلمة بنقوش حمراء بها أمخاخ الموتى، محفوظة في سوائل معقمة لحفظها من التلف، الأمر الذي أثار الكثير من التكنهات العلمية.

(٢١)

دق جرس التليفون في منزل زينب، كان المتحدث صاحب المكتبة التي يعمل بها (سمير):

- مدام زينب، أرجو أن أراك في المكتبة الآن.
- هل حدث شيء؟ سمير بخير؟
- نعم بخير ... لا تقلقي.

توجهت زينب إلى مكان المكتبة، وجدت الكتب مبعثرة على الأرض، وقد بدأ (سمير) بجمعها من جديد، لم ينطق صاحب المكتبة بشيء، صافح جارته في السكن وأشار لها أن تتفضل بالجلوس ... سألت زوجها:

- سمير ماذا حدث؟

شعر سمير بالدهشة لسؤال زينب، فقد ظن أنها مرت عليه بالصدفه في المكتبة ... كان يرتب الكتب بعناية ويرصها على الطاولات دون رفعها على الأرفف المعتادة، يجمع الكتب المبعثرة على الأرض ويرتبها حسب الحجم فقط ...

- سمير.. كنت أقوم بشراء بعض المشتريات بالقرب من المكتبة.

- إنني أقوم بالترتيب، تفضلي، سوف أعود بعد انتهاء عملي في الرابعة ...

شعرت زينب بالارتباك، همست: أهلاً عم شوقي ماذا حدث ؟

رد شوقي بهدوء: لا شيء لكن أردت فقط تشريفك بالمكتبة، ماذا تشربين؟

لأول مرة تلاحظ زينب اختلاف طول ذراعي سمير، إنه هاديء في البيت يتحدث قليلاً، يأكل بشكل طبيعي، يتحدث أحياناً مع محمود على الهاتف بصورة طبيعية، لم تدقق النظر في اختلاف طول الذراعين سوى الآن، استأذنت زينب في الانصراف، اقتربت من الأستاذ شوقي الذي تحدث هامساً:

- كل يوم ... كل يوم، يقوم الأستاذ سمير بإنزال الكتب على الأرض ثم يعيد جمعها وترتيبها ... إنه رجل مجتهد ...

لم يشأ عم شوقي أن يحكي أكثر من ذلك، فقد يصل إلى أذن سمير بعض الكلمات التي قد يتفوه بها، لكنه أراد أن تشاهد زينب ما يحدث على الطبيعة.

زينب مبتسمة: سمير رجل عسكري، دائماً يحب النظام والدقة ...

يوم الجمعة، استيقظت زينب في الصباح على أصوات غير معتادة، سمير يخرج كل ثيابه من الدولاب ويفترشها على الأرض، ثم يعود لترتيبها فوق المقاعد المتناثرة في أرجاء البيت:

- ماذا تفعل في هذه الساعة المبكرة؟
- أرتب ثيابي
- الوقت مازال مبكرا ... لماذا لا تعيدها إلى الدولاب؟
- ليس الآن، لا أريد أن يلمسها أحد ...

تريد أن تعيش في سلام ... لا يوجد ما يعكر الصفو ... تصرفات غريبة بعض الشيء، لكنها مقبولة، وكفي ما مررت به، منذ ثلاثة أعوام لا تعرف عنه شيئاً، ثم عاد، وافقت على كل شيء، فلم الشكوى؟

كان حديثا مطولاً بين زينب ومحمود بعد عودته من الأسكندرية في زيارة تصور أنها قصيرة، لكن ... كان ينتظره الكثير.

- لاحظ يدي والدك، واحدة قصيرة والأخرى تبدو عادية ... أحيانا يكون لديه نشاط بدني زائد، يخرج ملابسه ويتركها مهملة بضعة أيام، ثم يقوم بترتيبها موزعة في كل مكان ... حقاً، لا أجرؤ على الاقتراب منها، ستكون ليلة سوداء لو فعلت ... نفس الشيء في المكتبة، بعثرة، ترتيب، اتصل بي العم شوقي مراراً وتكراراً، يضع قصص الأطفال،

مع كتب الفلسفة ... الروايات مع كراسات الرسم والكشاكيل ... الأقلام والمساطر تندس بين الرفوف ...

رجوت الرجل أن يصبر عليه، يعتذر سمير كلما أبدى شوقي ملاحظات على الفوضي اليومية ... ثم إنه يتذكر كثيرا اسم جده فليفل، عندما يُطمئِن صاحب المكتبة أن (فليفل) سوف يساعده في ترتيب كل شيء، ما ... ما هذا الهذيان؟

- أفكر يا أمي أن نذهب به إلى طبيب متخصص في الغدد الصماء.
- أليس الأفضل أن نذهب إلى الأطباء الذين ...

محمود مقاطعاً: ليس الآن،أود رأي آخرين في حالة .... والدي ...

كانت نتائج مدهشة وغريبة تستدعي قدراً عظيماً من الفضول لدى الأطباء الذين فحصوا (سمير)، نتائج التحاليل عن الغدة الكظرية المثبتة بفصي الكليتين، نتائج غريبة عن الغدة الدرقية، ما بين النشاط والكمون ... لا يعرفون من أين أتت تلك الاضطرابات الهرمونية لهذا الرجل؟ شكل عظام الجسم غير طبيعية، ليس فقط اختلاف أطوال الذراعين، فقد بدأ التشكك أيضا في اختلاف طول الساقين؛ حين بدأ سمير يعاني من عرج خفيف أخذ يتطور شيئاً فشيئاً...

إنها مقدمات كارثة قادمة، لقد انفرد محمود (بوالده) وكشف له عن الشيك الذي وجده في الصندوق: هل تعرف شيئا عن هذا الشيك؟

- محمود.. شيك بهذا المبلغ الضخم، وفي هذا الصندوق! كيف ذلك؟
- تذكر جيداً ألم تقم باستلام هذا الشيك عندما قررت منذ أعوام أن تذهب للعلاج في أحد المؤسسات العلاجية؟
- لابد أنه شيك مزور ... لا لم يحدث ... لا أتذكر، مؤكد أنه غير حقيقي ...

بتلك البساطة والهدوء تحدث سمير مع محمود دون أي درجة من الانفعال أو الفضول عن موضوع الشيك، لم يوجه لمحمود أسئلة أخرى، لماذا وأين وكيف ذلك؟

هل تم نقل مركز الانفعال والعاطفة إلى جسد آخر، أم أن هناك حالة من الاضمحلال التدريجي في حواس سمير بل وانهيار الذاكرة ... لقد استنتج محمود بعقليته العلمية المدربة على الملاحظة والتحليل، أن هذا الكائن تم استخدامه فقط لتجريب الاستنساخ البشري ... لقد فشلت التجربة بامتياز... انهيار وظائف الهرمونات، التشوه الجسماني ...

هل ستصمد زينب أمام هذا الانهيار؟ لا تريد أن تشغل ولدها عن عمله هناك بالأسكندرية، لكنه هنا الآن، شاهد على كل ما حدث من

تحولات، هل كان لابد من رفض أن يختفي زوجها من أمامها لمدة ثلاثة أعوام كاملة، كان قراراً مشتركاً بالموافقة خوفاً عليه من الموت ... لكن هذا الوضع الجديد أصعب من الموت، إنه الندم الذي لا ينفع بعد فوات الآوان

اضطرت في كثير من الأحيان أن تدعي المرض حتي تمنعه من الذهاب إلى المكتبة، فقد تمادي سمير في إحداث فوضي عارمة في مكتبة الأستاذ شوقي، تحمل الرجل الكثير احتراماً لتاريخ سمير، الرجل المتقاعد من الخدمة، والمريض الذي عادت إليه الحياة من جديد ...

في الصباح الباكر، يخرج سمير وينتظر على باب المكتبة حتي يأتي عامل النظافة، يدخل سمير ويمارس مهمته في إحداث الفوضي ثم الترتيب من جديد بطريقة فوضوية.

بدأت تخونه قوة عظامه وعضلات جسده، أصبح يسير بانحناء ملحوظ، انتهي به إلى الجلوس في سكون جسدي، شاردالذهن، حتي تأتي زينب وتصطحبه إلى البيت ... هذا الرجل المكوم في فراشه، هزمت صحته انهيار جهازه المناعي تدريجياً، تقزمت أعضاء الجسم في شهور قليلة ...

كيف انهارت صحة زوجي، لا أقوي على الاحتمال، ماذنب محمود؟ لم أكن صاحبة القرار في اختفائه منذ سنوات ... لابد أن أواجه المشكلة وحدي، وحدي فقط ...

(٢٢)

توافد الحضور من جميع أنحاء العالم ليتباروا في تقديم العروض المادية المغرية للبحث في هوية الملك (توت عنخ آمون)، وهل هو أخو أخناتون أم ابنه؟ وفك اللغز الذي أحاط بظروف وفاته، إذ اعتبر الكثير أن وفاة فرعون في سن مبكرة جدًا يعد أمر غير طبيعي، وخاصة مع وجود آثار لكسور في عظمي الفخذ والجمجمة، وزواج وزيره من أرملته من بعد وفاته وتنصيب نفسه فرعونًا.

كانت العروض المقدمة عن إجراء أبحاث حول الحمض النووي للملك، وأيضاً عن إمكانية استنساخه، تلك الأبحاث لو نجحت قد تحدث انقلابا في الأوساط العلمية بأسرها، لكن هناك اعتراضات على هذا التدخل من الجانب المصري للمؤتمر، ظلت الحوارات هادئة حيناً، وعاصفة في أغلب الأحوال.

في أحد اوقات الاستراحة ما بين الجلسات، وفي نشاط متزايد للعاملين لتقديم المشروبات إلى أعضاء المؤتمر، تقدم أحدهم باتجاه إيهاب مبتسماً، إنه صورة طبق الأصل من (سمير)! يا إلهي إنها النسخة رقم أربعة، هل من مزيد!.

حدق إيهاب في وجه الجرسون وسأله: هل تقابلنا من قبل؟

الجرسون: أتشرف بمعرفة حضرتك، لكن لا أعتقد، ربما تشابه مع شخص آخر.

إيهاب: ما اسمك؟

الجرسون: لماذا؟

- ربما أعرفك
- سمير .. سمير فليفل.

هل هي المصادفة التي قادته لحضور المؤتمر كي يرى هذا (السمير فليفل)!

- هل أنت من الأقصر؟
- لا .. أنا من الأسكندرية، قضيت بعض الوقت في الساحل الشمالي.
- ربما تقابلنا هناك، أنا أيضاً قضيت بعض الوقت في الأسكندرية، ربما تقابلنا في أحد المصحات العلاجية، في مؤسسة (المجموعة المساندة للحياة) مثلاً.

بهدوء شديد رد سمير.

- ربما كنت هناك لبعض الوقت، لكني الآن في أحسن حال.
-

أسرع (سمير) ليستأذن من وقفته التي طالت بعض الشيء مع إيهاب، وانتقل ليمارس عمله في توزيع المشروبات، نفس نبرات الصوت، نفس لون البشرة، لم يقطع اندهاش إيهاب سوى النداء للعودة إلى قاعة المؤتمر، الآن تبدأ الجلسة التالية.

ماذا بك يا إيهاب؟ عليك التركيز في فعاليات المؤتمر، مطلوب منك أن تقدم تقريراً علمياً دقيقاً.

واضح أن تلك المؤسسة حاضرة هنا وبمنتهي القوة، نعم إن فعاليات المؤتمر من صميم عملها، لكن ترى ماذا تقدم تلك النسخة من فائدة! فلتتجنب قليلا موضوع هذا (النادل) لبعض الوقت ...

ثبت إيهاب على أذنيه سماعات الترجمة بعناية، بدأت الجلسة بالأستاذ القادم من كلية العلوم بجامعة كيوتو اليابانية ثان أقدم جامعة وفي مقدمة الجامعات اليابانية الآسيوية في الأبحاث، صمت الجميع وبدأ الأستاذ بلغته اليابانية التي رفض أن يتحدث بغيرها:

- هنا في هذا المكان الرائع، حيث مهد الحضارات، والتي كانت ملهمة لكل الباحثين في جميع أنحاء العالم، ولنا بشكل خاص في جامعة كيوتو، وبالتعاون مع المؤسسات الأوروبية والأمريكية والمصرية، لنبحث ونغترف المعرفة بشهية مفتوحة للتعرف على أصل الحضارات.

أيها السادة، ربما استطاع الفراعنة أن يسطروا تاريخهم على جدران المعابد، ولكن التقدم العلمي المتدفق في العقدين الأخيرين، جعلنا نتوصل لإمكانية استنساخ نماذج متماثلة للملك توت عنخ آمون، ربما لن نفصح كثيراً عن كل التفاصيل التي مازالت في مراكز الأبحاث العلمية.

لكن الرائع هنا، ليس فقط في عملية الاستنساخ، لكن كيف يمكن نقل ذاكرة هذا الملك، أو غيره من المومياوات المحنطة الملائمة، نتحدث عن طفرة غير مسبوقة لمعرفة تأثير هرمونات النمو ليست على كافة أعضاء الجسم من عظام وأطراف جسدية فقط، بل تصنيع الهرمونات التي تؤثر في سرعة نمو الجسم و (الدماغ البشري).

صدرت همهمات من هنا وهناك، تعالت أصوات غاضبة، ولغط متوتر وسرت تعليقات غير مفهومة، همس رئيس الجلسة في أذن صاحب هذه الاعترافات المدوية، ثم طرق بيده على المنصة، أشار الأستاذ الياباني بيده قائلاً:

- معذرة.. إنها مجرد أفكار لأبحاث لم نبدأ بها بعد، هل يمكننا إعادة الملك توت عنخ آمون بجسده وعقله؟ ربما تجاوزت في الإعلان عن بعض الأمور، لكن ربما نحتاج إلى مزيد من الأبحاث خلال الشهور القادمة

... أشكركم

بعد حوار قصير بين منظم المؤتمر والدكتور وهبة رئيس (المجموعة المساندة للحياة) الذي كان ضمن الحضور على المنصة اقترب من الميكروفون:

- من فضلكم، ونحن في رحاب العلم، في هذا المؤتمر المتخصص، العالم كله لديه مؤسسات متخصصة في البحث العلمي في كافة مجالات المعرفة، نقول أنه كان من المستحيل أن يصل الإنسان إلى القمر أو يبحث عن سبل للحياة على كواكب أخرى، أو أن يجد حلولاً وعلاجاً للعديد من الأمراض التي كانت تفتك بحياة البشر، لولا حرية البحث العلمي هنا وهناك.

أيها السادة... لا وطن للبحث العلمي، لأنه ملك للجميع، لولا المنافسات الجبارة في المائتي عام الأخيرة، لما حدث تطور في مختلف الميادين، واستحداث تكنولوجيا التواصل التي أحدثت طفرة غير مسبوقة حتي الآن؛ لذا فلنفسح المجال بمنتهي الحرية للبحث العلمي، خاصة في مراحله الأولى في بعض مجالات المعرفة الحساسة، حتى نكون على يقين فيما يمكن أن يفيد البشر أو يتسبب في أضرار اجتماعية غير واثقين منها.

المعرفة البشرية تأتي بالتراكم، أي أن يعرف الانسان ما أنتجه من سبقوه من معارف يتيح له أن يبدع بإضافته الخاصة، وبدون هذا التراكم ليس هناك من سبيل لإضافة جديد إلا بمحاولة إعادة اختراع (العجلة) من جديد، وفي هذا إهدار للموارد في إعادة اكتشاف وبناء ما تم اكتشافه وبنائه بالفعل، وبدون الاستفادة مما أنتجه السابقون من معارف، وما ارتكبوه من أخطاء، لا يمكن للمعرفة البشرية أن تنمو وتزدهر.

أيها السادة: ونحن إذ نكتشف المزيد عن تلك الحضارة الفرعونية العظيمة كباحثين وعلماء، لا نكتفي أبداً بما هو مسجل على الجدران، فقد أصبح لدينا الإضافة العلمية، لماذا ننزعج عند محاولة إيجاد نموذج مماثل للملك الفرعوني، أو ربما أحد المهندسين في مصر القديمة، أو الكيميائيين القدماء، أو الأطباء منهم.

مثلما كان الوصول للقمر حلم أو خرافة كبيرة منذ أقل من مائة عام وقد أصبح حقيقة، فلماذا لا نعرف المزيد هنا عن تلك الحضارة العظيمة؟

تصفيق مدوٍ من القاعة، استطاع الدكتور وهبة بلغته البليغة أن يستحوذ على حماس الحضور، الآن يتم الكشف عن الكثير من خبايا الأبحاث العلمية، لولا حالة التلجيم التي حدثت سريعاً مع المتحدث الياباني.

الآن .. وجهاً لوجه أمام الدكتور وهبة، تابعه إيهاب بنظراته بعد الانتهاء من كلمته، لمحه يقترب من النادل سمير، يتحدث معه بشكل غريب لبضعة دقائق، لا يمكن أن يكون الأمر مرتبطاً بإعداد مشروب خاص مثلاً، كيف يقف هذا الأستاذ والباحث الكبير مع (نادل)؟!

اقترب إيهاب من (الجرسون سمير) قائلاً: هل تعرف الدكتور وهبة؟

- كنت في مركزه للعلاج (المجموعة المساندة للحياة)، أستأذن حضرتك.

هنا أصبحت الصورة شبه مكتملة، لابد من تحديد موعد فوراً، توجه إيهاب على الفور واقترب من الدكتور وهبه، استأذن في طلب حديث معه للنشر في جريدة (علوم المستقبل).

- ربما لا يتسع وقت المؤتمر الآن، لكن من الممكن أن تشرفني في العيادة بالقاهرة ...

كان نفس العنوان الذي ذهب إليه إيهاب، ولم يحظ بأي ترحيب، الآن تنفرج الأسارير ويدعوه للزيارة دون تحفظ ...

الباحثون الأجانب لا يكفون عن الجدل حول الاكتشافات في مصر القديمة، الأمر أكبر بكثير من مجرد اكتشاف بضعة تماثيل تزين المتاحف هنا وهناك، الأمر يتجاوز ذلك إلى إجراء أبحاثٍ علمية على (المومياوات) الصالحة للاستنساخ، أو إعادة إنمائها في نماذج أخرى للكشف الأعمق عن هذه الحضارة ... ربما ...

(٢٣)

إن الحقائق لابد أن تواجه بشجاعة مهما كان أمرها، فتلك أمانة العلم وجرأته في اقتحام المشاكل وإزالة المعوقات للوصول إلى الحقيقة مهما كانت صادمة، العقل هو سيد الموقف، مادامت الظاهرة قابلة للقياس فهي موجودة بالتأكيد، ولا يمكن نكرانها أو جحودها لأنها تخالف موقفاً عقائدياً أو أيديولوجياً محدد.

أكمل الدكتور وهبة في ثقة: إن الهرم هو بيت الأسرار وموطن الحقيقة، وفي مكان ما منه توجد الغرفة السرية التي تحوي جميع الحقائق التي وصلت إليها الحضارات القديمة، و لا يمكن أن تكون الأهرام كما أشاعوا مجرد قبر لأحد ملوك المصريين العظماء ...

هل تعلمون أيها السادة أن الهرم يتكون من مليونين وستة آلاف حجر، مشيدة في ارتفاع عمارة من خمسين طابقاً، مبنية من اثنا عشر قرناً بدون مادة لاصقة كالأسمنت وما شابه، وزن كل حجر منها ما بين طنان إلى خمسة عشر طناً، بينما في غرفة الملك يبلغ وزن الحجر الواحد فيها سبعين طناً.

إن ارتفاع الهرم مئة وتسعة وأربعون متراً، والمسافة من الأرض إلى

الشمس مئة وتسعة وأربعون مليون كيلو متر، هل يمكن أن يكون ذلك مجرد مصادفة؟

هل تعرفون أن نسبة محيط قاعدة الهرم إلى ارتفاعه تساوي النسبة الثابتة ٣.١٤ التي تسمي طاء باللغة العربية وتسمي باي باللغة اللاتينية، ونفس القاعدة تسري على غرفة الملك والتابوت .. هل يمكن أن يكون كل ذلك مصادفة؟

هل تعرفون أن جوانب الهرم الأربع تشير إلى الاتجاهات الأربع الأساسية الشمال والجنوب والشرق والغرب، والمثير للدهشة أنها تشير إلى الشمال المغناطيسي وليس الجغرافي، هل يمكن أن يكون ذلك مصادفة؟

هل تعلمون أن ممر الدخول إلى عرفة الملك يشير إلى النجم القطبي وأن الممر إلى غرفة الملكة يشير إلى نجم الشعرى اليمانية، هل يمكن أن يكون ذلك مصادفة؟.

عند رسم خطوط لممرات الهرم الداخلية، وعند اعتبار البوصة مساوية لسنة، فإن الممرات ترسم خطوطاً بيانية تتنبأ بكل أحداث العالم، فتحدث قفزات عند أحداث التاريخ المهمة مثل تاريخ الحرب العالمية الأولى والثانية، وأن هذا التخطيط يتنبأ بنهاية العالم سنة ٢٨١٥ ميلادية.

هل تعرفون طريقة بناء الهرم الأكبر؟ بعض العلماء يعتقدون أن تلك الصخور قد صبت هذه في أماكنها كما تصب الخرسانة الآن، وبذلك لم تكن بحاجة لقطعها من جبال أسوان بتلك الدقة ثم نقلها من مكان إلى أخر.

- كيف؟
- يفترضون أن قدماء المصريين يعرفون خلطة عندما تستعمل يتكون صخر أشد صلابة من خرسانتنا، وقريبة الشبه بالصخر الطبيعي، بحيث يعيش ألاف السنين متحملاً مرور الزمن وعوامل الطبيعة، وهذه الخلطة مزيج من مواد متوفرة في الطبيعة مع قليل من المواد الكيماوية البسيطة، وهي بلا شك أفضل من الخرسانة الحالية بمئات المرات، فهي أصلب بكثير وتجف بسرعة أكبر وقد تكون أرخص، و العلماء في أمريكا يحاولون الآن الوصول إلى سر هذه التركيبة!

إن كمية المياة الموجودة ضمن تركيبة الصخور في الهرم الأكبر (والتي تقدر بمليون لتر من المياه في مجمل صخور الهرم كلها) هي كميات لا يمكن أن تكون موجودة في صخور طبيعية، مما يدفع إلى القول أن هذه الصخور هي صخور اصطناعية وليست طبيعية، وكذلك فان هناك علماء آخرون وعند تحليلهم لهذه الصخور وبعد دراستهم لتركيبة البلورات فيها توصلوا أيضا إلى قناعة بأن هذه

الصخور لا يمكن أن تكون طبيعية!

- ما الهدف من بحثهم؟
- الوصول لسر هذه الخلطة العجيبة مع أسرار أخرى عرفها المصريون القدماء مثل علوم البيولوجي واستنساخ البشر والحيوان، والتي يعتقد البعض أنها كانت متقدمة عندهم كثيراً، بحيث كانوا يستطيعون استنساخ كائنات نصفها إنسان، والنص الآخر حيوان! مثل الحيوان الذي رأسه رأس كبش وجسمه جسم إنسان، أو رأس إنسان على جسم حصان أو جسم أسد ... وغير ذلك.
- وهل كانت هذة المخلوقات موجودة بالفعل في الزمن القديم؟
- يفترضون أنها كانت موجودة قبل الطوفان وكانت تعيش وتتكاثر.
- ما الأسرار الأخرى التي تودون الوصول إليها؟
- هناك معلومات قيمة أخرى عن فروع العلم المتعددة عند قدماء المصريين، مثل سر التحنيط وأصل الإنسان ونشأة الكون وغير ذلك، وكل هذه الكنوز العلمية موجودة في حجرة سرية في الهرم الأكبر، ما زال العلماء يحاولون حتى يومنا هذا معرفة مكانها والوصول إليها.
- وهل وصلوا إلى أي شئ يؤيد ما تزعم؟
- مع الأسف بذلت جهود جبارة بدون طائل حتى الآن، وعند بحث

العلماء عن الحجرة السرية استعملوا أجهزة متطورة جداً تستعمل أشعة يمكنها اختراق أحجار الهرم لمعرفة أين توجد هذه الحجرة، ولكن الأجهزة أعطتهم في كل مرة بيانات ونتائج متضاربة ومشوشة وغير منطقية.

صاح أحدهم: هل تبحثون عن الحجر أم البشر؟

حدثت جلبة وانقسم المؤتمر إلى مؤيدين ومعارضين، والدكتور وهبة واقف في مكانه بابتسامة تتسع بزيادة الخلاف والجلبة، وينسحب في هدوء وكأنه حقق الغاية التي كان يبتغيها، بينما كان مدير المناظرة يرفعها.

عند خروجه نادى أحد الحاضرين عليه، فتوقف لبرهة ثم مضى بعدها سريعاً، بينما كان الرجل يقول: أنت طبيب وعالم في الجسد البشري، لماذا تتحدث عن الآثار؟ لماذا لا تبحث عن العقول التي فرغت في قوارير خزفية لتحفظ ما بها من التعفن والانحلال؟

هل فحصتم الأمخاخ الموجودة في القدور؟ وماذا وجدتم فيها من أسرار؟

من المفروض أنكم أيها الأطباء لا تبحثون عن الآثار والأحجار، على الدوام تفتشون عن الخلايا وأسرارها، هل قارنتم تلك العقول بعقل أينشتاين الموجود في المتحف.

(٢٤)

قد تكون الحقيقة بين يديك، وأنت تبحث عنها في مكان آخر، قد تكون أقرب إليك من حبل الوريد، لكنك تجد في الوصول إليها في المكان الخطأ أو الزمن الغير مواتي، هكذا كان يفكر محمود في الطائرة التي أقلته إلى الأقصر، بعد أن اتصل به إيهاب.

وصل محمود فجأة إلى صالة الاجتماعات، وعرف نفسه لإدارة المؤتمر وطلب منهم إتاحة عشر دقائق فقط له، بعد فترة الاستراحة لكي يقدم رأيه العلمي في المؤتمر.

السادة الكرام، أعرف تماماً أن العلم هو محاولة لإيجاد دليل مادي لكل مجهول أو غير محدد، ورفض كل ما لا يقترن بدليل لصالح حقائق يمكن قياسها، تسهم في اجتماع الناس حولها واختبارها، أما إذا كان البحث العلمي قد اقترن بالتجريب في أقرب الناس إليك، هذا ما قد يجعلك ترفض أحيانا قبوله، أعني قبول النتائج العلمية الناجمة عن تلك الأبحاث، لأن ذلك قد ينغص عليك حياتك ويسبب ألماً لا يمكن تحمله.

لمح محمود منار والدكتور وهبة على مقعدين متجاورين، هما من يعلما هنا باتخاذ والده كمادة لتنفيذ تجارب علمية نادرة، بل قد تكون حصرية في (مؤسسة المجموعة المساندة للحياة)، عبر به سيل من الصور الذهنية.

والده سمير قبل المرض ومداعباته الحنونة، والدته زينب في ردائها الأبيض ذو الورود الصفراء، وفي لندن مشهد الاحتفال بحصوله على الدكتوراة في (تطور الهندسة الوراثية والاستنساخ على أنواع من النباتات)، والتي تتلامس وبقوة مع الموضوع المثار في تلك القاعة.

يا له من حشد علمي رائع، العيون تحدق به بمنتهى التركيز، وكأن حدقاتهم مثبتة في أجساد عمالقة ترتدي السترات البيضاء في معامل البحث العلمي، الأفكار والرؤى تتراكم هنا لتكون سحابة شتاء كثيفة لا تلبث أن تتحول إلى أمطار جارفة تكشف عن نتائج مذهلة قد يعلن عن بعضها الآن، لكن واضح أن الدهشة، بل والفخر بالخطوات الجريئة للإنجاز العلمي سوف تأتي في القريب العاجل وربما خلال أسابيع، شهور، أو سنوات قليلة.

حقاً إنها عقول خلاقة مندفعة كالسيل، تفتح لها ألف مجرى إلى محيط العلم الواسع لم تكن موجودة من قبل، هنا في مصر ربما، أو في أي مكان من العالم.

سرعان ما تمالك محمود زمام أعصابه، استطرد قائلاً: أيها السادة

العلماء، إنني فخور بجماعية الآداء العلمي هنا في مصر، و لا سيما أن تلك الجماعية تحققت بالفعل في مشروع الجينوم البشري الذي اشتركت فيه أكثر من مئة وعشرين دولة لعمل الخريطة الجينية للبشر، ذلك المشروع الذي كان يهدف إلى تطوير تقنية تمكننا من الحصول على نسخة دقيقة للمخطوطة الوراثية الكاملة للإنسان.

ونحن في هذا الفندق وعلى بعد بضعة كيلومترات من آثار الحضارة المصرية العريقة، لا شك انها مصدر إيحاء للتنقيب عن أصل العلم في كافة المجالات، عن عبقرية العقل البشري، واختراق جزيئاته الدقيقة لمعرفة الكثير من الحقائق التي نشاهد أثرها بالفعل في تلك الحضارة، وليست مجرد فروض واحتمالات ...

في النهاية : أشكركم جدا على حسن الاستماع .

(٢٥)

اصطحب إيهاب محمود إلى استراحة الفندق، وهناك شاهدا شبيه والده (سمير النادل)، يقدم إليهما المشروبات، كانت مشيته سريعة و ابتسامته عريضة، عندما أمعن محمود النظر إليه، عبرت سحابة شجن سريعة على جبينه ثم انقشعت بسرعة منتبهاً إلى حديث إيهاب.

إنها المكاشفة الكاملة لحقيقة ما حدث من عمليات استنساخ لسمير الأب، استعلم محمود عن موضوع النسخ السابقة التي تحدث عنها، فأخبره إيهاب أن (المجموعة المساندة للحياة) في الساحل الشمالي أنتجت عدة نسخ من والده سمير، حكى له ما حدث بالتفصيل، من خلال متابعاته وانتشاره للاستفادة من كل الثرثرات المترامية في أرجاء المؤتمر، فمن المؤكد أن (سمير النادل) من نوعية الإنسان المهجن.

- من خلال أبحاثك المنشورة، أهي تلك الشخصية البشرية المزودة بآليات تزيد من إمكانياتها وقدراتها، تمكنها من القيام بمهام لا يمكن للبشر القيام بها بقدراتهم العادية؟
- نعم .. إنها نسخة الإبداع التي جمعت بين الخصائص البشرية و

الخصائص الآلية، كائن يتكون من مزيج من مكونات عضوية وبيو-ميكاترونية.

- تقصد أنها مجرد تحسين خصائص الجسم البشري بإضافات وأعضاء صناعية، حتى يمكنه العمل في البيئات الصعبة بكفاءة أكبر؟
- هذه النوعية موجودة الآن بالفعل بين البشر، هناك آلاف الناس استفادت بالفعل من التقنيات في تحسين أو تعويض تلف في جزء أو عضو من أعضاء الجسد، مثل زراعة أجهزة تنظيم ضربات القلب مثلاً، وزراعة قوقعة الأذن.
- في أي مجال تستخدم.
- على سبيل المثال في الفضاء القاسي.. تسعون ثانية فقط في الفضاء كفيلة بقتل أي بشري، درجات الحرارة تصل إلى مائتين وسبعون درجة مئوية تحت الصفر، لا يوجد أكسجين للتنفس، والإشعاع مُهلك، لهذا يتم تعديل خصائص الجسد البشري ليتحمَّل تلك الظروف القاسية.
- وما المهمة التي أسندوها إلى سمير النادل؟
- نسخته الصباحية بشري لقضاء الأعمال في خدمة زوار الفندق والانتشار هنا وهناك، والتنصت ونقل حوار المشتركين في المؤتمر إلى الدكتور وهبة.

- بالتأكيد رفعوا من حساسية الأذن للسمع، ويمكن أن يكونوا طوروا قدرته على الحفظ والتخزين، لكن ماذا يفعل في الليل؟
- يتحول لآلة جهنمية، لاستكشاف ما تحتوية الأدمغة التي عثر عليها داخل المقابر الفرعونية، في أوانٍ خزفية معقمة ومحفوظة منذ آلاف السنين، وكأنه رادار يكشف ما تحتويه تلك الأدمغة من أفكار وذكريات.

يستكشف الأحداث القديمة التي عاصرها صاحب المخ، كأنه يخترق حجب الزمن، ويحول بؤر الذاكرة إلى حروف وكلمات وجمل، يتم تجميعها وترجمتها من الهيروغليفية إلى لغات أخرى.

- فكرة علمية رائعة لو كانت صحيحة، ولماذا لا نفعل نحن ذلك؟ ليست مستحيلة، لأننا سنكتشف ما هو أهم من حجر رشيد بمئة مرة، معلومات مصدرها بشر عاشوا الحقبة التاريخية بأنفسهم وسجلت على عقولهم كما كانت، ليس فيها زيادة و لانقصان، حقيقة عارية لا تجامل الحاكم و لا تخاف من استبداد، فالتاريخ دائماً يكتبه المنتصر، حتى حجر رشيد، تري هل ترى أنه كشفوا عن كل أسرار سجلاته؟
- أعتقد لا.. نجح شامبليون من خلال إجادته للغة القبطية المنقوشة ومقارنتها باللغة اليونانية المسجلة على الحجر، أن يكشف ويترجم

اللغة الهيروغليفة، لقد تم نقل الحجر الأصلي إلى لندن بعد احتلال الإنجليز للأسكندرية عام ١٨٠١، بعد أن أعد الفرنسيين نسخة أرسلوها إلى باريس، والسؤال هو هل تم البوح بكل أسرار هذا الكشف؟

كما قلت ربما لا، لا شك أن هناك المزيد من الأسرار العلمية، ليس فقط في حجر رشيد وإنما في حرص الغرب على تجنب الكشف العلمي عن أسرار تلك الحضارة، الآن نجحوا من خلال المعالجة الدماغية لبعض النماذج المستنسخة، والخبرات التكنولوجية، والتنقيب الدؤوب لترجمة المخ الفرعوني خاصة الكهنة الذين يتولون أمر الطب والهندسة، كشفوا الكثير من الأسرار العلمية، تلك الصبغات المستخدمة في صناعة المنسوجات الإنجليزية والمصنوعة بمهارة فائقة الجودة، أساسها من هنا من مصر القديمة، ونحن مازلنا نعاني من العجز للوصول إلى خلطة الصبغات الصحيحة، بل يتم استيرادها من هناك بعد أن سرقوها بمهارة العلم الذي يتمتعون به.

- وماذا يحاول مركز المجموعة المساندة للحياة أن يفعل؟

- الكشف عن المزيد ولكن بتكليفات من جهات متعددة تقوم بالتمويل وتحديد الأبحاث المطلوبة، دور المؤسسة أن تقدم الخدمة العلمية بتفوق وكفاءة لمن يدفع، وهنا استطاعوا التغلب على الروتين الإداري، أصبح الباب مفتوحا على مصراعيه للتنقيب والبحث عما في داخل الأمخاخ الفرعونية المحفوظة بعناية في القنينات الفخارية والمغلقة بإحكام، مهمة شاقة جداً، لكنهم نجحوا بالفعل ... أجزم أنهم فعلوا.
- واضح أنك صبور ومتتبع لحركة تلك المؤسسة.
- حدثت خلال العشر سنوات الأخيرة تطورات مذهلة نتيجة التعاون مع علماء مساندين من كل أنحاء العالم، كما أكد الدكتور وهبة على أهمية العلم، لكن ما يفخر به أن تلك الأحداث وتدوين النتائج يحدث هنا في مصر، كان لابد من وجود تكنولوجيا جديدة خارقة تكشف عن جميع مراكز الذاكرة داخل المخ البشري، ومركز حفظ المعلومات السريعة والمؤقتة وطويلة المدى، كذلك مركز العاطفة والحب.
- سمير المهجن أو النادل يقوم بكل هذ؟
- نجحوا بامتياز في الحصول على عقل بشري يتميز بالذكاء وسرعة البديهة لكي تعدد نسخه، و تخصص لكل نسخة تجارب محددة، ومنها مهمة فك شفرة أسرار الحضارة الفرعونية بقراءة أفكار القدماء

أنفسهم، بالتأكيد نجحت بعض المحاولات، كما واجهت المؤسسة عشرات التجارب الفاشلة، مازالت التجارب تحت الفحص والتقييم، كانت التجارب تجرى على عناصر بشرية متعددة، لكن تجربة سمير النادل حققت نجاحات غير مسبوقة .

(٢٦)

عاد الدكتور وهبة إلى قاعة المؤتمر ورئاسة المحاضرة القادمة لأحد علماء البيولوجيا من ماليزيا بعنوان (كيف حارب قدماء المصريين الشيخوخة وحاولوا إطالة الحياة)، جلس الدكتور وهبة على يمين المنصة وقدم المحاضر والموضوع، ثم وجه له إيماءة بابتسامة فبدأ على الفور:

- الخلية الحية هي وحدة البناء الكائن الحي، مثل حجر البناء الذي يبنى به القصر الكبير والكوخ الصغير، تتجمع هذه الخلايا حسب تخصصها لتكون الانسجه العضليه والدهنيه.....، وتتجمع الأنسجة المتكاملة لتكون الأعضاء المختلفه.
- يذهب الغذاء والاكسجين إلى الخلية لتفرز الهورمونات والانزيمات وتنتج الطاقه اللازمه لكافه أنشطة الكائن الحي.

كانت مجرد بداية لبعض المعلومات البسيطة استهل بها المحاضر كلمته، استطرد قائلا :

- وقد أثبتت الدراسات الحديثه باستعمال المجهر الإلكتروني وجود زائدة في نهاية الكروموزوم أطلق عليها اسم التيلومير Telomer، وفي كل

مره تنقسم الخليه، يحدث فقد لجزء منه، وبتكرار الانقسام الخلوي (لزوم النمو وتعويض ما يفقد من خلايا) يزداد قصره، وعندما يصل إلى طول معين تبدأ الشيخوخه، ثم ينتهي بموت الكائن الحي ...

نظر المحاضر إلى الحضور: أرجو أن تتسع صدوركم لبعض التفاصيل التي أدلي بها الآن

- شكل التيلومير وطوله يؤثران بشدة في ظهور أمراض الشيخوخة مثل الزهايمر وباركنسون والسرطان، ومعدل انقسام التيلومير يعطي الانسان فرصه ليعيش مئة وعشرون عاماً على الاقل، وهذا يعتمد على تناول بعض الفيتامينات مثل حمض الفوليك وفيتامين ب١٢ وب٦ ومركبات الاوميجا ٣ و٦ كذلك فيتامينE وD و C، كذلك ممارسة الرياضة وكمية كافية من النوم، جرى تطبيق ذلك على بعض الاشخاص وتم الوصول لإطالة هذا الجزء بنسبه ٥٪، إلا أن تدهور هذا الجزء وتدميره يرتبط بالتوتر والاكتئاب والالتهابات أيا كان مصدرها والاجهاد المستمر.

والآن قد يسأل البعض، ما علاقة قدماء المصريين بذلك؟ هذا هو الشق الأهم في كلمتي، عرف المصريون القدماء ما يسمى بالشيخوخة السعيدة، التي يصحبها سعة العيش والسعادة، ويعطونه مرتبة إيماخو (الشخص المحترم)، لم تفرط مصر القديمة يوماً في شيوخها، التي كانت تبدأ عندهم مظاهرها بعد المائة بعشر سنوات، عند فحص خلايا قدماء المصريين وجدنا أن طول التيلومير في خلاياهم كان يزيد عن

طوله في أجسامنا.

نجحوا في ابتكار طريقةً للتخلص من الخلايا العجوزة والمسؤولة عن تسريع عملية التقدم بالعمر، بمعني تعزيز حيوية وشباب أعضاء جسم الانسان لفترة أطول، أما عن الخلايا العصبية التي عثر عليها في مقابر القدماء، فالأبحاث مستمرة، ستعلن النتائج قريبا مسجلة على المواقع الالكترونية المتخصصة في الأبحاث العلمية الحديثة ... شكرا لكم .

(٢٧)

سجل إيهاب الكثير من النتائج المعلنة للمؤتمر العلمي في الأقصر، دَوَن الكثير من المناقشات العلمية الثرية، نجح في اقتناص أوراقا بحثية لم تخرج إلى حيز النشر باعتباره ممثلا لأحد الصحف المتخصصة، والتي تلتزم بميثاق الشرف الصحفي بعدم النشر إلا بعد موافقة أصحاب تلك الأبحاث الخطيرة، حصل على وعد بالتواصل مع الدكتور وهبة، لكن دون تحديد موعدٍ جادٍ للمقابلة.

بعد انتهاء المؤتمر ودع إيهاب محمود، واتفقا على ضرورة التواصل عبر الهاتف والانترنت، عاد إلى القاهرة، مر على الجريدة وترك تقريره المثير عن المؤتمر، لم يهدأ فضوله في استكمال مسيرة البحث لأحد نماذج (سمير) التي يمكن رؤيتها بسهولة، لم يره سوى مرة واحده، فليتابع إذن تلك الحالة المتاحة التي يعلم سرها محمود، لماذا التردد؟

زار قريبته، لم يكد يسألها عن (سمير) حتى أسرعت بالحديث، وحكت ما تلاقيه من مشاكل جمة.

زينب: إيهاب، هذا كل ما حدث لسمير، ثلاثة أعوام عاد بعدها إلى

حالته الطبيعية، لكنه الآن كما ترى ... لابد أنه المرض الخبيث ... في أحد الأيام الذي كان يستيقظ فيها مبكراً جداً ليقف أمام المكتبة حتي تفتح أبوابها، توجهت إلى هناك، لم أجده، جن جنوني، أعرف أنني لابد أن أنتظر ثمانية وأربعين ساعة لإبلاغ الشرطة، لكن اتصل بي أحد أقاربنا في السويس، أبلغني أن سمير عندهم، إنه بخير، يتحدث معهم في ذكريات حياته، أمه، والده، جده فليفل، إصراره على الزواج من زينب.

لكن كان حديثه في شكل كلمات متقاطعة غير مترابطة بشكل ملحوظ، لم يجب على سؤالهم؛ لماذا لم يصطحب زينب لزيارتهم خصوصاً أنها لم تحضر منذ سنوات؟ لم يجب، دفعهم الشك إلى الاتصال بي، سافرت على الفور، اعترفت لأقاربي بأن سمير يعاني أحياناً من فقدان بالذاكرة، عدت به إلى القاهرة ...

عند خروجه من البيت، تأكد ايهاب أنه أمام نموذج تجريبي فاشل، في حالة احتضار سريعة، سجل على الفور كل ملاحظاته من خلال المشاهدة وأيضاً من الحكي الذي قدمته زينب بالتفصيل ...

أهملته المؤسسة بينما اهتمت بنماذج سمير الأخرى: سمير سنبو، سمير مخزن الذاكرة الاحتياطي، ثم سمير النصف بشري ونصف آلي أقوى نماذج المجموعة، وتوظيفها بنجاح ساحق.

(٢٨)

بعد أسبوع عاد إيهاب إلى الأقصر، وتتبع سمير النادل، نجح في دخول معمل المقبرة، ليجد بعض الوريقات المهملة، ملقاة داخل صندوق النفايات، قرأ فيها بعض السطور المكتوبة على عجل، وكأنها كانت مسودة تم نقل ما فيها، وكانت تحتوي على السطور التالية:

تم العثور بالصدفة على مجموعة من الأوعية المخصصة لحفظ المخ بالدير الغربي، محكمة الغلق، لم تمسسها يد، قمت أنا من خلال إقامتي الليلية في (معمل المقبرة) بفحص عينة دقيقة من أحد أجزاء مخ (قديم) عمره ألفين من الأعوام، وذلك بالتحليل الكيميائي والفحص البصري والتحقيقات الجينية، وتحديد التاريخ بالكربون المشع، والتحليل المجهري ... لقد تأكد أن المخ لمومياء ذكر، يبلغ من العمر ما بين العشرين والثلاثين عندما توفى، الأهم من كل ذلك، أنه كيميائي ومهندس، هكذا تحكي ذاكرته.

كان كشفا مروعا ومذهلاً، عندما قرأ سمير الحروف المنتجة بعد الدراسة المسحية للذاكرة المدونة داخل مخ، هذا المهندس الفرعوني ... لقد نقلوا أحجار الأهرامات عبر حاملات طائرة صاروخية تعمل بطاقة جبارة، عانى

من صعوبات بالغة في فك شفرات هذا المخ النادر، لا شك أنها نتائج تحمل الكثير من المفاجآت، نعم سوف ينهار الغموض رويداً رويداً، سوف تختفي الستائر التي تحجب نور الشمس عن الحقيقة واحدة تلو الأخرى، معنا الدعم الياباني الذي يركز على اكتشاف ماهية الطاقة الهائلة التي رفعت تلك الشاحنات الصاروخية، بل وتوجيهها إلى مكان معين ؟!!

هل استطاع القدماء استخدام الأشعة الكونية لإنتاج مستوى عال جدا من الطاقة الكهربائية تم توظيفه بالفعل وتحويله إلى طاقة حركية هائلة ؟!!

لم يتحدث المهندس الفرعوني عن المركبات الصاروخية الطائرة فحسب، بل تم الكشف عن أسرار حفظ العصائر، ونبيذ العنب بعد جمعه من الحقول، وإعداد بعضه ليعطي ذلك الطعم وتأثير الخدر الممتع، إذن أنها ليست من إبداع (لويس باستير) الفرنسي، هنا يا سادة نجد كل المفاجآت، والمستقبل القريب سيكشف إبداعات كثيرة داخل العقل المصري القديم.

أيضاً لابد من الكشف عن (المواد السرية) التي تحمي مكونات المخ من التلف وتحافظ على الأنسجة الذهنية في المخ حتي لا تتحلل، إن العثور على أوعية تحتوي على المخ البشري كاملاً، وصالحة للدراسة تعني أن أبحاثي ستستمر لمعرفة الأسرار داخل ثنايا عقول هؤلاء المصريين والتي قد تقلب حياة البشر رأسا على عقب.

(٢٩)

دخل إيهاب شقته مكتئباً، وهو مهموم بما حدث له في تلك الليلة، جلس بجوار النافذة يشاهد قطرات المطر وهي تتساقط في تتابع وتسارع بينما يدوي صوت البرق وكأنه يحذره من خطر وشيك.

دق جرس التليفون لتخبره قريبته زينب، وهي في حالة انهيار، وتغالب دموعها، أنه أثناء تناولها الطعام مع زوجها سمير، اقتحم البيت بعض الرجال الملثمين يحملون أسلحة نارية، قيدوها وألقوها أرضاً، فتشوا جيوب زوجها حتى عثروا على بطاقته الشخصية، تفحص أحدهم وجهه باهتمام ثم قال في ثقة: احضروه.

حقن أحدهم سمير بشيء أفقده الوعى فوراً، وضعوه على حمالة، وضعوه في سيارة إسعاف وقادوها مبتعدين.

اتصلت بالشرطة وأبلغتهم بما حدث، حضروا ولم يتخذوا أي إجراءات رسمية، فقط أبلغوها بأنه ليس لديهم ما يفعلونه من أجلها، فليس لديها أي معلومات وأن عليها أن تحافظ على هدوئها، وأنها لو قدمت بلاغاً رسمياً فلن تستفيد منه شيء، و ربما لن ترى زوجها مرة أخرى.

نزل إيهاب مسرعا وبحث عن السيارة حتى وجدها، تتبعها عن قرب حتى وصلت إلى مبنى خاص في ضواحي الجيزة.

المبنى يحرسه عدد كبير من الأشخاص، محاط بجدار ضخم يرتفع فوق المترين على قمته غابة من السلك الشائك، رغم ذلك نجح إيهاب في التسلل من الجهة الخلفية للمبنى، حيث تضعف المراقبة، كانت نوافذ الطابق الأرضي مغلقة وذات قضبان، نجح إيهاب التسلق عن طريق أنبوب الصرف الصحي، حتى وصل إلى نافذة مفتوحة في الطابق الثاني.

دخل منها فوجد صالة طويلة إضاءتها خافتة، تفتح على عدد من الغرف المغلقة، سمع صدى همهمات مكتومة خلف أحد الأبواب، اختلس النظر من ثقب المفتاح شاهد ما يبدو أنها غـرفـة عمليات كاملة، وبعض الأفراد يلتفون حول جسد مغطى بملاءة، كانوا يوصلون الكثير من الأسلاك تنتهي بأقطاب كهربية، تسارعت أنفاسه عندما أدرك أنهم أزالوا قمة جمجمة سمير فليفل، أدخل أحد الجراحين يديه إلى القمة المفتوحة في رأس سمير، وأخرج مخه بسهولة، موصولاً بغابة من الأسلاك واضـعاً إياه في وعاء زجاجي شفاف.

كانت بعض الأسلاك متصلة بالمخ المنفصل عن الجسم وعلى الطرف الآخر كانت موصلة بكمبيوتر له شاشة كبيرة تعرض بعض الذبذبات الغريبة،

والأسلاك الأخرى كانت موصلة بالجسم عند الظهر، انقطع حبل تفكيره عندما زاد الضوء فجأة.

ووجد نفسه أمام مجموعة من الحراس المسلحين اقتادوه بالقوة إلى الغرفة التي كان يتجسس عليها، ثبتوه على منضدة العمليات، قيدوا يديه وربطوا رجليه، وتركوه وانصرفوا لحال سبيلهم، تساءل في حسرة، هل جاء دوري؟ ربما ذهبوا لاستدعاء كبيرهم.

احتشد الأطباء في الطرف الآخر من الغرفة، كانوا يتمتمون بكلمات غير مفهومة، ربما يقررون مصيره، فجأة فُتح باب وسمع صوت امرأة.

السلوك الموقر الذي هيمن على الجراحين أوضح المقام العالي لتلك السيدة، سارت المرأة وتوقفت أمامه مباشرة، أدرك أنها رباب حبيبة محمود وخطيبته السابقة، رآها مختلفة عما سبق، كانت تستمتع بجموح السلطة وهي تنحني فوقه قائلة:

– كنتَ تظن نفسك ذكياً، وأنت تتبع سمير حتى العيادة، كانت مجرد خدعة لإحضارك هنا، لقد تباطأنا في الطريق حتى تلحق بنا، لقد رأيت ما حدث لسمير، هو ليس ميت حقاً، هؤلاء السادة هم علماء الأعصاب الأوائل في العالم الآن، ولقد طوروا عملية جراحية يرفعون من خلالها المخ من الجسم،

لكنهم يحافظون عليه حياً في بيئة مغذية، وكما تعلم لن تجيز أي دولة هذه العملية، ولكننا سنعرضها على العالم فيما بعد.

هل ترى كل تلك الأسلاك التى تصل إلى مخ سمير؟ إنها تربطه بحاسب قوي يتفاعل مع مخرجات ومدخلات المخ الإنساني، حتى يظهر كل شيء طبيعياً جداً بالنسبة لصديقك سمير، الحاسب ينتج حياة عقلية خيالية تندمج تماماً في حياته الماضية، لذلك لا يكون واعياً بما حدث له، فهو ربما يظن الآن أنه يأخذ حمامه الساخن، ويستعد للذهاب إلى عمله.

إننا ننقل الذاكرة من المخ إلى وسيط تخزين، ومنها إلى مخ إنسان آخر، لتنتقل إليه تجارب وذكريات هذا الشخص، نعمل على إفادة البشرية من تجارب وقدرات من سبقوهم وألا ستضيع خبراتهم سدى بموتهم، نحافظ على المواهب والأفكاره الإبداعية.

ابتعدت قليلاً وهي تقول: بعد نجاح تجربتنا سوف نعلن عنها، ولكننا نحتاج إلى بعض التجارب على أفراد طبيعيين، عاشوا حياة أكثر إثارة، شخص مثلك أنت يا إيهاب.

ارتبك إيهاب واجتاجت جسدة قشعريرة بسبب الرعب الشديد الذي لفه، التف حوله الجراحون وهم ينظرون إليه بحذر، كان أحدهم يحمل مشرط الجراحة الحاد، بينما يديه لا تزالان ملطختين بالدم.

حدقت رباب في اتجاه إيهاب وتمتمت بصـوتها المقزز:

- أراهن بأنك تظن أننا سوف نجـري لك عملية لنقل مخك كما فعلنا مع سمير، أليس كذلك؟ لكن ليس هناك ما تخشاه، لن ننقل مخك، لقد فعلنا ذلك بالفعل منذ أشهر.

بعدها تركوه قرب شقته، لم يخبر أي شخص، كان الشك يقتله، هل هو مجرد مخ في وعاء من الزجاج الشفاف، وأن كل مـا يراه من حوله هو مجرد اختلاق من الكمبيوتر، وكيف يمكنه التأكد من ذلك؟

لو أن برنامج الكمبيوتر يعمل بالفعل، سوف يبدو كل شيء عادياً و طبيعياً، قد لا يكون أي شيء مما يراه حقيقياً، الأمر يدفعه إلى الجنون، حتى فكر مليـا في الانتحار.

(٣٠)

قرار مشترك دون اتفاق مسبق، خطوات متعددة ومختلفة الوقع، تصعد على السلم ببطء وتردد، وكأنهم جميعاً لا يريدون أن يراهم أحد، وهم في طريقهم إلى عيادة الدكتور وهبة بالقاهرة، لكلٍّ عذاباته التي يريد أن يتخلص منها أو على الأقل يجد من يتحدث له عنها.

لم يذهب محمود إلى تلك العيادة قط من قبل، لابد أن يكتشف ما حدث لنسخة والده وكيفية التخلص مما هو فيه، صعد محمود الدرج خطوة خطوة رغم وجود المصعد، عله يسري عن القلق والتوتر الذي يستوليان عليه، يود أن يجمع شتات أعصابه المهترئة.

خطوات صعود السلم، ترافقها ذكرياته الأليمة مع منار حبه الأول الفاشل، البعثة وإحباطات الغربة والتأقلم مع المجتمع الجديد بعاداته وثقافته المختلفة، مرض والده واختفائه المثير وعودته المريبة، سمر واعترافها بحبها له ومساعدته، المناقشة الواضحة من الدكتور أشرف والرجل الثاني الدكتور وهبة.

الحل هو زيارة مفاجئة للعيادة، ومواجهة الأطباء بحالة (سمير) المتدهورة بشكل مؤلم، صعود بطيء يرافقه صوت حذائه المتقطع الخجول على الدرج الصلب.

زينب صاحبة الهم الأكبر، التي تركت (سمير) نائماً هائماً لا يكاد يدري ما ومن حوله، لا يهم ما يحدث له حين استيقاظه، بات عاجزاً عن الخروج، أصبح كطفل متقوقع في مهده، لا يقوى على الحركة، لا يمكنه اتخاذ قرار حتى بالذهاب لقضاء حاجته.

لا تعرف مكان سوى العيادة الملعونة التي قدمت لها ولزوجها كل الأماني بالشفاء من المرض الخبيث، فكرت مرات و مرات قبل أن تأتي، ترددت.. قررت الصعود بالمصعد إلى العيادة، مشحونة بكم كبير من الغضب والتساؤلات ...

إيهاب المغامر الذي دخل في دوامة سمير الذي توفى، وسمير سنبو١، وسمير النسخة الاحتياطية، وسمير النادل المهجن، كان واحداً فأصبح متعدداً، رغم طرده من العيادة من قبل، يطمع في البحث عن المزيد ... قرر العودة من جديد، لعله يعيد إجراء صفقة جديدة مع (الممرض) حتى تكتمل الصورة، لا شئ يدفعه سوى الحصول على الحقيقة كل الحقيقة، لن يكتفي بجزء منها، مازالت الصورة ينقصها الكثير فيما يخص زوج قريبته، وحتى على الأقل يتأكد

من حقيقة موقفه، هل الحياة كما يراها، أم هو مجرد مخ موضوع في ناقوس زجاجي موصل على برنامج كمبيوتر يصور له الحياة، وقف متردداً أمام باب العيادة، ماذا يفعل لو طردوه مجدداً، وماذا يفعل ليتجنب ذلك من جديد، إنه ليس عدواً لأحد، إنه يبحث عن الحقيقة وفي سبيلها مستعد أن يتحمل أي شئ بما فيها حياته نفسها...

كان المنظر كئيباً بما فيه الكفاية ليخلد الجميع إلى الصمت، عدا أصوات أقدام، ما بين المصعد ودرجات السلم، التقت العيون عند باب العيادة، تشابهت الخطى واختلفت النوايا، وكأن الدنيا أصغر من سم الخياط.

الخاتمة

جلسا في شرفة بحديقة النادي الرياضي الشهير، يراجعان الرواية المشتركة لهما، رغم تحذير معظم الأدباء بأنها تجربة لن تنجح لعدة أسباب تبدو مقنعة، لم يقتنعا بها، تجربة جديدة للتأليف المشترك، زعموا أن الإبداع ظاهرة فردية تسمو بالذاتية وتهبط بالجماعية، رغم ذلك كان كل منهما يعتقد في قرارة نفسه أن الجماعية في أي عمل مهما كان نوعه يؤدي إلى تعاظم الإبداع بصورة أكبر.

المؤلف: دعينا من الحديث الذي لا طائل من وراءه، ولنكمل المراجعة.

المؤلفة: هل تتوق إلى أن تتناول شراباً ساخناً في هذا البرد يساعد على التركيز.

المؤلف: شربنا بما فيه الكفاية، كفانا كسلاً، هيا بنا نستكمل القراءة.

المؤلفة: نراجع من قبل الظهر واقتربنا من الغروب، وتصمنا بالكسل.

بدأت بالقراءة بهدوء وكأنها تستشعر كل كلمة، بينما عاد بظهره إلى الخلف وهو يستمع بتركيز شديد لكل حرف تنطق به وكأنما يرى الأحداث

بأم عينيه.

- ارتدت فستانها الأبيض ذو الورود الصفراء.
- تخيلت هذا الفستان الأبيض منقوش عليه ورود صفراء، لم يعجبني اللون، أيمكن أن يكون بورود حمراء؟
- هذا اللون الأبيض مع الأحمر يعطي الاحساس بالحرارة ويعكس ثقافة شعبية، ليس لوناً هادئاً وراقياً.
- أعترف من البداية أن النساء أكثر نجاعة في اختيار الألوان من الرجال، ولكني أرى اللون الأصفر لوناً مستفزاً، ربما يعود ذلك لتربيتي الريفية.
- لم أقصد ذلك، لكن لو بحثت في أسواق الأثواب، ستجد هذا اللون في محلات الطبقة الراقية.
- اكملي .. بارك الله فيكِ
- العشاء موضوع على السفرة..
- الطاولة كلمة عربية، أفضل من الكلمة المستوردة، وربما كانت كلمة المائدة أفضل لأنها الطاولة التي يتناولون عليها الطعام، ربما تكون كلمة خوان أكثر مناسبة.
- لنجعلها المائدة لكي تكون أقرب للفهم.

- اتسعت عيناها من الدهشة..
- لو استبدلناها بكلمة جحظت لكانت أفضل.
- الجحوظ يكون في الرعب، لكن في الدهشة يكفينا اتسعت..
- لا بأس.
- فتحت فمها بفتحة ليست بالقليلة.
- الأفضل فغرت فاها ..
- لا بأس
- على فكرة .. لو لم يقبلوا باشتراك كاتبين في عمل واحد بالمسابقة، تقدم أنت بها باسمك.
- لا .. أنت التي تستحقين ذلك، لأنك صاحبة النص، وأقوم أنا فقط بتعديله وتنقيحه إذا دعت الضرورة.
- أنت صاحب الفكرة، فلك السبق.
- عموماً لقد أرسلوا بالفعل موافقتهم على أن يشترك مؤلفان في عمل واحد.
- لا مشكلة إذن فلنستكمل.

استمرت المراجعة المضنية حتى كاد النهار أن ينتهي دون أن ينجزا مهمتهما، نادى المؤلف على النادل:

- الحساب يا ولدي

أتى النادل ووقف أمامهما، نظر المؤلف والمؤلفة إلى بعضهما البعض في رعب، ثم انطلقا يركضان وخلفهما سمير فليفل يطالبهم بالحساب.

للتواصل بالمؤلفان:

محمد نجيب مطر

م ٠١٠٠٩٤٦١٢٧٤-

بريد الكتروني matterengineer@yahoo.com

قدرية سعيد

م٠١٢٢٤٤٩٨٣٧٧-

بريد الكتروني kadria20@hotmail.com